
5
هوية
المكان
سيناء..
الأهمية والمعنى
سعيد رمضان على
وزارة الثقافة
الهيئة
العامة
لقصور
الثقافة

«سيناء»

الأهمية والمعنى

« سيناء »
الأهمية والمعنى

سعيد رمضان على

وزارة الثقافة



سلسلة
هوية المكان
تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• «سيناء»
الأهمية والمعنى
• سعيد رمضان على
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2008 م
16,5 × 23,5 سم
• تصميم الغلاف: هند سمير
• المراجعة اللغوية:
سعاد عبد الحليم
شوكت المصرى
• رقم الإيداع: ١١٧٠٨ / ٢٠٠٨
• الترقيم الدولى: 5-760-437-977
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

5
تعنى بنشر الدراسات والأبحاث المعنية بخصوصية المكان وأهميته فى التاريخ المصرى والعربى

«سيناء»

الأهمية والمعنى

المحتوى

الإهـداء ....
شـكـر ....
الشـهـداء أولا ....
عـتـبة دخـول ....
الفصل الأول: سيناء ولمسة المكان ....
الفصل الثانى: نقوش على حائط الزمن ....
الفصل الثالث: الأطماع الصهيونية ....
الفصل الرابع: عبقرية التاريخ ....
الفصل الخامس: القبائل والعائلات ....
الفصل السادس: التراث الثقافى ....
الفصل السابع: المحميات الطبيعية ....
الفصل الثامن : التقسيم الإدارى ....
الفصل التاسع: محاور التنمية ....
عـتـبة خـروج ....
ملحق الصور ....

إهـــداء

إلى أبناء وطنى

الشهداء أولاً

كان مشهدا فى التاريخ، تألق فيه المكان، وتوقف عنده الزمان ..

أما المشهد فهو رفع علم الجمهورية فور رحيل آخر محتل من أرضنا

أما المكان فكان مدينة رفح و الزمان ١٩٨٢/٤/٢٥ .

و كان آخر الصحراء هو أول الوطن، وسرب الطيور المهاجرة بدأ يعود إليه

أما الحياة .. حياتنا .. فقد استعادت بهاء لحظاتها الأولى .. لحظات الميلاد .

ونحن الذين صرنا قادرين على عزف أنشودة بعثنا، صرنا قادرين على إعادة الحياة إلى الوطن.

.. من قبل :

كان نشيد الفدائى : إعادة الروح إلى الجسد وسط النزيف

ونشيد المقاومة : انتزاع الحياة من الموت وسط الدمار

أما نشيد الزمن فكان مختلفا :

لقد انبعث فى ظلام الليل الطويل، ليتلوا مرثية أحزان الرحيل وسط الفراق ... وكانت النغمات فى كل الأناشيد متشابهة .. خلت من بهجة الفرح، لأنه لم يكن هناك سوى رنة الحزن .

وفى لحظة من التاريخ عادت أسراب الطيور المهاجرة من هجرتها، ومشت أمانى العمر مع ابن الوطن فوق أرض الوطن، وتخلف الشهداء عن السير معنا فى موكب النصر الذى

صنعوه فكأنهم – وهم الشهداء – أنكروا على أنفسهم لذة الفرح لنفرح نحن، وأنكروا على أنفسهم بهجة الحياة لنعيش نحن .

من قبل أدهشنا السؤال : لماذا الانكسار ؟ ونحن الذين لم نتوصل إلى إجابة واضحة، كان الطريق أمامنا واضحا، لأنه لا يليق بجيل أعد للنصر أن يتقاعس عن النصر، ولا يليق بجيل أعد ليطرق أبواب التاريخ أن يتوقف عن صناعة التاريخ .

وماالتاريخ إلا مسيرات طويلة، تحدث فيها الانكسارات كما تحدث فيها الانتصارات، لكن الحياة أبدا لا تتوقف، ومع استمرار تدفق الحياة على صفحات الزمن، يستمر الإنسان المصرى فى العطاء ..

وسواء كان هذا الإنسان من صعيد مصر أو الإسكندرية أو الريف أو القاهرة أو مدن القناة وسيناء فقد نسج نشيد حياته بصبر مدركا أنه الإنسان الذى صنع الحضارة على أوتار لا تعرف الصمت .

وفى سيناء تتكشف لنا عظمة الإنسان المصرى – ابن الصحراء وابن النيل –عندما أبدع أسطورته الخاصة، بالانتصار على وضعه وتحقيق الانسجام مع بيئته، ويمقاومة الغزاة وطردهم محتفظا فى ذات الوقت بتراثه وتاريخه .

وكما سار ابن وادى النيل طول تاريخه مخلصا لبساطته الداخلية معبرا عما بأعماقه من صدق وإخلاص، فقد سار ابن صحراء سيناء أيضا فى حياته، ببساطة تكشف عن أصالته، بساطة تنفذ إلى الأغوار وتأسر القلب .

ليست سيناء فقط جزءاً من وطن، بل رمز لوطن، من واجبنا أن ندرك ذلك، وأن ننقل هذا الرمز بعظمته إلى الأجيال التى تلينا، أجيال لم تعش فى زمن لتدرك معنى النزيف وتقف على حجم التضحيات .

وإذا كان أبناء الوطن فى الماضى ذابوا معا من أجل أحلام كبيرة، فقد تلاحموا ليدفعوا قوى العدوان عنهم عندما تجمعت كغيوم سوداء أرادت أن تعصف بكل حلم، وتدمر كل أمل ينهض باحثا عن النور من أجل بناء عالم جديد ..

ليس العدوان الثلاثى بعيداً عن الذهن، وليست قناة السويس بعيدة عن سيناء، وليست بور سعيد بعيدة عن القناة ولا الإسماعيلية أوالسويس أيضا، الكل متلاحم بكل ركن وكل مكان .

وإذا كانت التضحيات قدمت فى الحروب وسقط الشهداء، فإن الشهداء لم يسقطوا من مدينة واحدة ولم ينفرد بلد واحد بالتضحيات، أما تلك البلاد البعيدة عن سيناء مثل الإسكندرية فقد عانت أيضا من الغارات فى قلبها، حتى الأطفال لم يسلموا مثل أطفال

مدرسة بحر البقر احتمل الجميع المحنة وتحملوها بصبر، وأنشدوا أغانى الخلود .. وكانت اللغة .. لغتنا .. عندما تخفق فى سيناء وحول القناة .. فهى تخفق من أول البحر حتى آخر الصحراء .. ثم ترتد مع أول النيل ..

فتحية لشهدائنا .

عتبة دخول

إذا مر الإنسان من على قناة السويس بالمعدية أو من فوق كبرى السيارات، متجها لسيناء سيرى المياه الزرقاء تنساب بهدوء فى تموجات تماما كنهر النيل، وقد يسعفه الحظ فيرى سربا من الأسماك، أو قارب صيد صغيرا يتهادى على صفحة الماء بفعل حركة المجاديف أو شراع معلق على صارى، وربما يرى صيادا جالسا على الضفة مشعلا سيجارته متأملا خيط سنارته وهو يتباعد أو يقترب، لكنه فى الغالب سيرى سفينة ضخمة تشق الماء، وأحيانا يتقدمها قارب صغير يرفع علم مصر بجوار علم قناة السويس .

وعندما تمر السفن من القناة قد يفكر البعض فى عائدها المادى، أو يسرح البعض الآخر فى حلم ارتياد أماكن مجهولة، كما فعل سندباد الأساطير، وربما فكر آخرون فى بلاد يهاجرون إليها هربا من اختناق قابض على حياتهم، لكن عندما نرى علم مصر بجانب علم قناة السويس وهو يرفرف بجمال فى المقدمة . هل نسأل كيف وصل ذلك العلم.. علمنا إلى هناك ؟ و ما الذى جعله يرفرف خفاقا ؟؟

وإذا كانت قناة السويس تذكر مقترنة بعائدها المادى وإيراداتها، طول العشرين سنة الماضية تقريبا، فإنها من قبل وطول تاريخها كانت تذكر بغير ذلك ..

لم تكن أبدا قناة السويس مجرد ممر مائى ..

لقد نظر إليها مرة أثناء حفرها، كأنه حفر لقبور آلاف العمال المصريين الذين ماتوا فى ظروف قاسية ونظر إليها مرة أخرى كأداة للسيطرة الاستعمارية

وبعد السيطرة نظر إليها كمجرى استغلالى، بواسطته يتم نهب مصر بطولها وعرضها.
ثم نظر إليها كرمز للكرامة الوطنية .

أما العمال المصريون الذين ماتوا وهم يحفرونها، فإن أحفادهم استشهدوا على ضفتيها في نفس المكان وعلى نفس التراب، التراب الذى يمتد ليصل إلى أول حدود الوطن فى سيناء .. وبين التاريخين : تاريخ الجد وتاريخ الحفيد، تألقت روح الشعب فعزفت موسيقى المقاومة، وحملت بلدها مصر ووضعتها في قلب الدنيا .

ولم تكن بداية النضال عند ضفتى القناة، بل أبعد من ذلك فى المكان والزمان ..

فى المكان عند خط الحدود حيث تلاحمت قديما أراضي مصر والجزيرة العربية وفلسطين و حاليا تتقارب أربعة دول : مصر / السعودية / الأردن / فلسطين .

وفى الزمان بداية من الهكسوس، عندما بدأت أنشودة النضال مع أول خطوة للمصريين لتطهير بلدهم، و لم تتوقف الأنشودة عن العزف أبداً، أو تخفت لحظة من الزمان حتى انتهى الاحتلال الصهيونى لسيناء .

وقد انتهى كل احتلال بالهزيمة وظلت سيناء لمصر، وبقيت مصر لشعبها الذى وقف شامخا بأصالة ..

ومن الغريب أننى أثناء بحثى فى المراجع والمصادر أو ما سجله الإخباريون، اكتشفت أننى الذى عشت فى سيناء من عام ١٩٨٢ وحتي الآن، لم أكن أعرفها تماماً، وجهلت جوانب كثيرة فيها، لقد أعادنى هذا الكتاب إلى التاريخ، مما جعلني أكثر قربا من وطنى، وانتشلنى من القلق الذى أصابنى وأنا أرى العديد من أبناء بلدى، يعانون من دوامة التشتت والحيرة، ومن فجوة قد تعرضنا جميعا للضياع، هى فجوة ضياع القيم وفقدان الهوية ..

هناك دعاوى تظهر كل حين بأن الإصلاح ينبغى أن يتم بإطلاق الحريات و إصلاح المؤسسات، والنظام الإدارى، وتوزيع الدخل ومنع الاحتكار .. إلى غير ذلك من صور الإصلاح ..

وقد أتفق مع كثير من هذه الدعاوى، ولكنى أؤكد أن كل عيب وكل فساد، وكل تراجع عن القيم، جاء بسبب إفراغ التاريخ من محتواه ..

إن تفريغ طاقات المقاومة والنضال التى ترسخت فى وجدان الشعب المصرى، والعمل على تهميش دوره أدت إلى إيقاف نبض الحياة فيه .

فى الماضى لم تكن هناك مؤسسات ديمقراطية أو حريات حقيقية، لكن النبض كان حيا .. و الرؤية لا يغلفها أى ضباب والهدف واضح .. كنا نعرف تماما وجهتنا ....ثم تغير

الزمن .. ضاعت الرؤية كما ضاع اليقين، واختفى كل نبض وكل حس وكل جمال، فتمزق نسيج الوطن، وغابت الروح الحقيقية وتقوقعت، لأن من يحمل رايتها وهو الإنسان المصرى البسيط، أصبح معلقا فى الفراغ ولم يعد يعرف من هو ... لقد تم بلبلته وتهميشه، وسحقه الجرى طول يومه وراء لقمة العيش بدون لحظة يلتقط فيها الأنفاس .

وأحسب أن الكتابة عن سيناء فيها رتق لبعض النسيج الممزق، لأنه عندما نكتب عن جزء من مصر فنحن نكتب عن تاريخ وطن، وذلك يقربنا من هويتنا أكثر . وكأن أول طريق لندرك هويتنا كاملة، هو أن ندرك هوية المكان .

الفصل الأول

سيناء ولمسة المكان

سحر الشفق :

عندما ننظر ناحية الأفق عند الغروب، ونرى بعض السحب البيضاء المتراكمة تحيطها الظلال السوداء، وسحبا أخرى تتخللها خطوط رمادية ،فإذا انتظرنا قليلا حتى تختفى الشمس حينها سنرى ضوءا ينتشر ويضىء الأفق الغربى، وتتناثر الأشعة الصفراء والأرجوانية، بإيقاع يتصاعد ثم يخفت شيئا فشيئا، فى هذه اللحظات قد نفقد القدرة على البوح بما فى طياتنا، لكننا سنكون قد رأينا سيناء بجبالها وتلالها ووديانها وتموجات رمالها الصفراء منعكسة على الأفق ... سيناء التى تملك سحرا يقع فى ظلال الفجر، و تملك الكثير من الحقيقة، هى فى تكوينها تقترب من أعماق إنسانها البدوى وهو يتحرق شوقا للانفعال ..

إنسان فى ترحال مستمر، وحيد وسط الصحراء، بقليل من الزاد وشربة ماء، وعندما يأتى عليه الليل، يشعل نيرانا ببعض الشجر الجاف، ويظل فترة يتأمل اللهب وهو يتراقص على نغمات الهواء، ثم ينتابه النعاس فيغفو و حين تخفت النيران ويحس بالبرد، يستيقظ ليلقمها عوداً من الحطب، ومع ذلك فهو لا يشعر بأى قلق موحش، لا تربطه الثوانى والدقائق، مندمج مع الظروف التى تمر به، غير مسجون بداخل حياة رتيبة، ومواعيد منتظمة، يمضى مطمئنا لأنه يثق فى بيئته، وهو بهذه البساطة يكشف عن أصالة الحياة البشرية، وعن البعد البكر فى أعماق الإنسان، وهو يتدفق فى عصارة نقية، تنصهر مع نغم

الوجود ودفء الحياة .

هذا هو إنسان سيناء البدوى، وتلك بصمة سيناء على إنسانها، وهؤلاء الذين مروا بها من الغزاة وظنوا أنهم احتلوها، عاشوا فى وهم الاحتلال، ولم يدركوا أبدا أن سيناء هى التى احتلتهم، وهم . .. عندما ذهبوا .. هنا وهناك .. تمزق شىء فى أعماقهم.. افتقدوا الصوت والصدى، رائحة الصحراء، تموجات الرمال وهمسات الريح، عادوا للحياة المدنية بقشورها الواهية التى تمسخ وتشوه، وعندما وطأوا أرض سيناء، ومعهم مفاهيمهم التى تشربوا بها، من مجتمع سبق أن حكم عليهم بالإعدام، بأن أودع فيهم الطمع وسحق بداخلهم قيم الإنسانية النبيلة، عندما وطأوا تلك الأرض نظروا لإنسانها، فإذا به بسيط الثياب، يفترش الرمال، قد يزرع أرضا صغيرة بما تجود به الأمطار، أو يصيد السمك، أو ويرعى الغنم والإبل، ويعيش فى الخيام، فنظروا إلى أنفسهم كأنهم مخلوقات خاصة ومتميزة، وهاهى دورة الزمان تؤكد أن ذلك الإنسان البسيط أكثر إنسانية وأصالة وكرما .

إنسان ارتبط على مر التاريخ بالتحرر وأثرى الدول التى يعيش على أطرافها، بحيوية تحرك مياهها الراكدة التى تنتج من حياة الرخاء والرفاهية، بدوى استطاع على مر آلاف السنين أن يوجد توازنا ويحقق انسجاما مع بيئته .

ثبات النمط البدوى :

ومن الحقائق المدهشة فى سيناء هو ثبات النمط البدوى بعاداته وتقاليده، على مر الأزمنة فسيناء لم تكن أبدا مستقرا لهجرات بشرية كبرى، بل كانت ممراً للرحيل ومنفذاً لغزوات حربية، إن هذه العوامل ساهمت فى عدم وضع سيناء فى عزلة البحيرات المغلقة التى تميت، وهذه العوامل أيضا هى التى سمحت بتكوين شخصية مميزة لها نمطها الخاص .

لكنه ليس نمطا موضوعا ضمن إطار لا يقبل النمو، فكل تجمع إنسانى يكتسب خبراته، عبر ممارسة تؤدى إلى خبرة تأخذ حظها من التغير، وما أقصده من ثبات النمط البدوى أن عاداته وتقاليده وأفكاره وقوانينه، نبعت من داخلة كجسد حى ينمو ويتحرك وليس عبر تأثيرات خارجية كالهجرات البشرية الكبرى، أما الغزوات والاحتلال فقد واجهها بالحفاظ على تراثه .

لكن هذا النمط بدأ فى التغير التدريجى بعد تحرير سيناء عام ١٩٨٢ حيث أصبحت شبة الجزيرة مكانا للهجرة البشرية من أبناء وادى النيل، وإذا كان أهل سيناء يتكلمون العربية مع لسان محلى، كلسان أهل الصعيد أو أبناء النوبة أو الأرياف، فقد بدأ يحدث لهذا اللسان تغير، فالتفاعل بين أهل سيناء وأبناء وادى النيل، أدى إلى التقاط مفردات

من لهجات محلية وافدة، لهجات تتعدد بتعدد الوافدين بلسانهم المحلى، وهم من كافة قرى مصر ومدنها، من الإسكندرية حتى الصعيد مرورا بالريف المصرى والقاهرة، وكما يحدث عندما يختلط الجميع ويتفاعلون، ويتقاربون، فإن اللغة من بعضها تقترب، ولذا من المنتظر أن يظهر مستقبلا لسان محلى جديد بسيناء يأخذ من الجديد الوافد، ولا يقطع صلته بالقديم المقيم، إن توافد أبناء الوادى قد أحدثت تغيراً، وهو تغير ينتج عن الاختلاط، وماكان محرما أصبح مقبولا، لكن الاختلاط نتج أولا عبر زواج أبناء سيناء من بنات الوادى تبعه بعد فترة زواج نساء سيناء من أبناء الوادى، لكنى لا أذهب للقول إنه سيحدث تغيرا فى البناء العضوى، لأنه قول متطرف يفصل بين الأصول، ويؤكد على أقوال مفادها " بأنه ليس فى سيناء سكان ذوى أصول مصرية (سكان أصليين) بل كل سكانها (بادية وحاضرة) هم من العرب "، وهى أقوال تتماشى مع محاولات عزل سيناء عن مصر، وفصل الأهل عن الأهل، كمحاولة اليهود أيام الاحتلال فى مؤتمر الحسنة عام ١٩٦٨ عندما حاولوا تدويلها وفصلها عن الوطن . ثم إنه قول يتجاهل وجود بعض العائلات من أصول تركية وفدت مع الحملات العسكرية وغيرها عندما كانت مصر ولاية عثمانية، وبعض أصول هذه العائلات أرسلها أحمد باشا الجزار لقلعة العريش للوقوف فى وجه الحملة الفرنسية أثناء زحفها على الشام عام ١٧٩٩ .

والرد على محاولات عزل الأهل عن الأهل سهل وميسور، فعند بناء دير سانت كاترين حضرت بأمر الحاكم حوالى مائة عائلة من مصر لبناء الدير، اختلطت العائلات مع قبائل العرب حولهم، ثم أسلموا مع الفتح الإسلامى، وبعضهم دخل فى جيش عمرو بن العاص ،وإبان حكم السلطان سليم الأول العثمانى حضرت مائة عائلة أخرى من سكان المطرية شرق الدلتا.

وهناك قبيلة الحويطات(*) بسيناء منتشرة فى السويس والإسماعلية وفى الشرقية وفى القليوبية وحلوان وحول القاهرة فى البساتين وعين شمس وعزبة النخيل . ثم قبيلة الرياشات بشمال سيناء، وتوجد الرياشات أيضا فى البحيرة و طنطا وكفر الشيخ، ، أما قبائل بنى هلال التى خرجت من مصر إلى المغرب ثم عادت فهناك فى مصر قرية باسمها وهى قرية بنى هلال، وتفيد المصادر أن قبيلة التياها بوسط سيناء فرع من بنى هلال، أما قبيلة السماعنة فى شمال سيناء فيوجد قرية أيضا باسمها فى مصر هى قرية السماعنة وكذلك قبيلة بنى واصل فلها قرية فى مصر اسمها (بنى واصل) أما قبيلة العيايدة بشبة الجزيرة فهم يسكنون أيضا شمال أسوان والبحيرة .. والسجل طويل وحافل ...

ثم هناك مسألة الدفاع عن الأمة العربية عندما تحملت مصر مسئوليتها التاريخية وواجهت الغزاة القادمين من الشرق، إن الحملات المصرية تركت وراءها جنودا، تخلف بعضهم إما لحراسة النقاط العسكرية والقلاع أو فضلوا البقاء اختيارا في سيناء، هؤلاء أيضا اختلطوا بالسكان .

لا يوجد في سيناء الآن ذلك الصراع بين ثقافتين مختلفتين، كالصراع الذى حدث بين الصهيونية والعرب أو بين الأوربيين وسكان أمريكا الأصليين (الهنود) أو بين المحتلين البيض في استراليا والسكان المحليين، بل توجد روافد ثقافية كراوفد ثقافة النوبة وأهل الصعيد والريف والإسكندرية والقاهرة، لكل منها خصائصه التى تصب في نهر الثقافة العامة للوطن .

تألق دائم :

وعلى عكس مناطق أخرى تألقت لحظات في التاريخ، ثم انطفأ وهجها وأصبحت نسيا منسيا، فإن سيناء وباستثناء لحظات نادرة، ظلت تتألق بداية من فجر التاريخ حتى الآن، وعلى مر الزمان احتلت موقع الصدارة في فعل الوجود البشرى، ليست سيناء مجرد معبر في أزمنة الرحيل المستمر، وإذا كانت تعيش (تحت وطأة قدرها الجغرافى) [1] فإن ذلك القدر يؤكد على دورها التاريخى، دور تلعبه أحيانا لصالح جسدها المصرى وانتمائها العربى، وأحيانا لصالح مراكز ثقل متغيرة، ورغم تلك الأهمية فإنها لم تنل اهتماماً حقيقياً إلا من ناحية المتطلبات العسكرية، وأغفلت حتى قبل الاحتلال الإسرائيلى كإقليم تنموى يمكنه أن يلعب دوراً هاما في الاقتصاد المصرى، ومع ذلك فإن سيناء عندما تفقد أحيانا أهميتها العسكرية، تكتسب أهمية أخرى، هى الأهمية التجارية، كنقطة التقاء التجارة بين الأقاليم المتجاورة والبحر المتوسط (وبينما كانت هذه المنطقة منطقة إقليم حدود أثناء حكم الدولة البيزنطية قبل الإسلام، إذا بها تفقد هذه القيمة بعد الفتح العربى الإسلامى، وتعود لتصبح إقليم مرور لقبائل مهاجرة من قلب شبة الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا)[2] .

وتدور دائرة الزمان ويخيم الظلام على موقع سيناء تدريجيا، ويمر بفترة هدوء أثناء الحكم العثمانى، لكن دول الغرب تأتى فتستغل موقعها لحسابها الخاص .(وتعود التجارة العالمية إلى المرور مرة أخرى، عبر هذا الإقليم، لكن إلى الغرب منه، تماما عند قناة السويس، وتلعب سيناء دورها التاريخى كموقع استراتيجى هام) [3] ولكن ليس لحساب بلدها، بل لحساب دول غرب أوربا التى وصفت كمراكز ثقل جديدة، وهو وصف خلاب يخفى صفاتها الحقيقية كدول استعمارية .

وتمر فترة جديدة يتحرر فيها الوطن من الاستعمار والاحتكارات، بعد نضال عنيف، ولكنها مجرد سنوات ليعود جزء عزيز من الوطن تحت احتلال آخر، هو الاحتلال الصهيوني، استمر يجثم على صدر سيناء خمسة عشر عاماً، يمتص رحيقها، وينهب خيراتها، وككل الغزاة اتجه الاحتلال ناحية قدره : الرحيل الذى تحقق فى النهاية .

أهمية الموقع :

يقول جمال حمدان : (إن سيناء هى أكثر منطقة يتداخل فيها اليابس والماء بشدة فى أكثر من اتجاه، إذ إن لها أطول ساحل بالنسبة إلى مساحتها فى مصر ككل، ولذا فإن سيناء تعتبر أقل قارية وبالتالى أكثر جزرية ... فأبعد نقطة عن الساحل فى سيناء لاتزيد عن ٢٠٠ كيلو متر وهذا يصدق بوجه خاص على شمال سيناء، حيث يمتد ساحل البحر المتوسط فى الشمال، كما تمتد ذراعا البحر الأحمر من الشرق والغرب، لذا فإن شمال سيناء تعتبر أقل صحارى مصر عزلة عن العالم الخارجى كما أنها كانت دائما على اتصال مباشر بوادى النيل) (٤)

وهى أيضا وعبر امتداد صحراوى كانت على اتصال دائم بقارة آسيا، ويحدها شرقا حدود مصر وفلسطين المحتلة وساحل خليج العقبة الغربى وغربى قناة السويس والبحيرات المرة وساحل خليج السويس الشرقى . سيناء اكتسبت أهميتها بوجودها بين ذراعى البحر الأحمر وإطلالة قاعدتها بالكامل على البحر المتوسط، لأن تلك البحار باتصالها بالمحيط الهندى والمحيط الأطلسى (وفرت طرقا مائية للمواصلات العالمية عند الهلال الخصيب وبرزخ السويس، وهى المنطقة التى يجب أن تخترقها طرق المواصلات البرية، التى تصل بين البحر المتوسط وما وراءه شمالا وغربا بين الخليج الفارسى والبحر الأحمر وماوراءهما جنوبا وشرقا .) (٥)

هى إذا تحتل مع فلسطين قطاعاً هاماً فى وسط جغرافى مميز، لكن موقعها الذى أفاد جسدها المصرى وانتماءها العربى، أفاد أيضا مشروعات إمبريالية أضرت بجسدها الذى تنتمى إليه .

ومن ناحية السطح تقسم سيناء إلى ثلاثة أقاليم، الإقليم السهلى الشمالى، وإقليم الهضاب يتبعه إقليم جبلى بالجنوب .

ويمتد إقليم السهول من شمال شبه الجزيرة، أى من قاعدتها على البحر المتوسط، حتى بداية هضبة التيه، ومن حدود مصر وفلسطين حتى قناة السويس، و يعتبر إقليم الهضاب قطاعا انتقاليا بين السهول والجبال، وتميزه هضبتان : هضبة التيه التى تمتد بين خليجى العقبة شرقاً والسويس غرباً، وتليها هضبة العجمة بالقسم الجنوبى وتشرف على

خليجى العقبة والسويس، وتصل إلى إقليم الجبال الذى تشرف مرتفعاته مباشرة على خليج العقبة أما من ناحية السويس فيشرف على سهل ساحلى .(راجع الخريطة)

ومن الناحية البشرية فسيناء جزء من إقليم أوسع أفقا من مجرد شبه جزيرة تقع بين الحدود الشرقية وقناة السويس و (هى بحق حلقة اتصال بين شبه جزيرة العرب من ناحية الشمال وبين جنوب الأقطار الشامية وبين وادى النيل الأدنى، وكانت القبائل الرعوية إلى وقت قريب تتجول بحرية فى هذا الإقليم المتسع، إقليم غلب عليه المظهر الصحراوى، إن هذه البيئة لم تكف أهلها أبدا، لذا فهم فى حركة دائمة وراء الكلأ والرعى) [٦]

وينبغى التفرقة بين هذه الحركة والهجرة، فالهجرة حركة واحدة مستقيمة الاتجاه بهدف الاستقرار فى مكان جديد، أما الحركة أو ما يطلق عليه البداوة، فهى لا تعنى عدم الاستقرار،) فالبدو الرحل مستقرون بمعيار التكيف مع الظروف البيئية) [٧] لكن مسرح الاستقرار ليس قرية أو مدينة، بل الصحراء مترامية الأطراف، وفى هذا الحيز المكانى الواسع تتم الحركة الدائرية بين أماكن متعددة، تتكرر (حسب إيقاع زمنى معين، ولا تنطلق الحركة بمنطق عشوائى، لا فى المكان ولا فى الزمان، وإنما حركة مقصودة لأماكن محددة مسبقا بنظام دائرى، ينتهى بالعودة إلى المكان الأول). [٨]

إن هذه الحركة بالنظام الدائرى مع اعتبار سيناء إقليماً أوسع أفقا من مجرد شبه جزيرة تقع بين الحدود الشرقية وقناة السويس وتجول القبائل الرعوية بحرية فى قطاع واسع يشمل جزيرة العرب، وجنوب الأقطار الشامية ووادى النيل الأدنى، يؤكد ما سبق أن ذهبت إليه بأن سيناء لم تكن سابقاً هدفاً أو مستقراً لهجرات بشرية كبرى، لأن الهجرة البشرية كما أوضحنا تتطلب استقراراً فى المكان . والراصد لحركة القبائل الرعوية القادمة من جزيرة العرب وغيرها إلى جزيرة سيناء قديماً، قد يرصدها كحركة هجرة، لكنها فى الأصل حركة بداوة، إن ذلك لا ينفى كون سيناء ممراً لهجرات بشرية إلى مناطق خصبة بوادى النيل .

هوامش

(*) يرجع نسب قبيلة الحويطات كما تذكر المصادر إلى الإمام "على بن أبى طالب " كرم الله وجهه وتسلسل النسب كالآتى:

حويط بن جماز بن هاشم بن سالم بن مهنا بن مهنا بن داود بن مهنا بن جماز بن قاسم بن مهنا الأعرج بن الحسين بن المهنا بن داود أبو هاشم بن القاسم أحمد بن عبيد الله أبو على الأمير بن طاهر شيخ الحجاز بن يحى النسابة بن الحسن أبو محمد جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب - والحويطات موجودة فى السعودية والأردن وفلسطين بالإضافة إلى مصر (راجع فصل القبائل والعائلات)

(١) - حسن راتب : سيناء - الأهرام - الطبعة الأولى ابريل ١٩٩٥

(٢) - محمد السيد غلاب : موسوعة سيناء - قسم الجغرافيا البشرية والتاريخية -الهيئة المصرية العامة الكتاب -القاهرة - ١٩٨٢

(٣)- السابق

٤- جمال حمدان : شخصية مصر (الجزء الأول) - عالم الكتب - القاهرة -١٩٨٠

(٥) - السابق

(٦) - السابق

(٧) - عزت حجازى (إعداد وإشراف) : التحول الكبير فى سيناء - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة -٢٠٠٠

(٨) - السابق

الفصل الثانى

نقوش على حائط الزمن

معنى اسم سيناء:

تعرف سيناء بأنها حدود مصر والأرض التى تحررت من الاحتلال الصهيونى، وهى ترتبط بالكرامة والاعتزاز، حتى إن اسم سيناء صار مرادفا للكرامة الوطنية، ويرتبط اسمها مع بور سعيد والسويس والإسماعيلية بأعظم ملحمة للنضال الوطنى لمصر فى العصر الحديث .

ويذكر بعض المؤرخين أن سيناء معناها " الحجر " وذلك لكثرة جبالها، بينما ذكر البعض الآخر أن اسمها فى الهيروغليفية القديمة " توشريت " أى أرض الجدب والعراء، وعرفت فى التوراة باسم "حوريب"، أى الخراب . لكن المتفق عليه أن اسم سيناء، الذى أطلق على الجزء الجنوبى من سيناء، مشتق من الاسم " سين " إله القمر فى بابل القديمة، حيث انتشرت عبادته فى غرب آسيا، وكان من بينها فلسطين، ثم وفقوا بينه وبين الإله " تحوت " إله القمر المصرى الذى كان له شأن عظيم فى سيناء وكانت عبادته منتشرة فيها، كما يشار إليها بكلمة " بياوو" أى المناجم أو " بيا " أى " المنجم " وفى المصادر المصرية الأخرى من عصر الدولة الحديثة يشار إلى سيناء باسم " خاست مفكات" أى مدرجات الفيروز.

أما كلمة الطور التى كانت تطلق على سيناء فى المصادر العربية، فهى كلمة أرامية تعنى "القمر"، وهذا يعنى أن طور سيناء تعنى " جبل القمر "، وكان قدماء المصريين

يطلقون على أرض الطور اسم " ريثو " بينما يطلقون على البدو فى تلك المنطقة بصفة عامة اسم عامو.

وأرى أن ما أجمع عليه المؤرخون سيدلنا على سبب إطلاق اسم سيناء عليها، ونظرا لأن القمر فى السماء يتخذ صفة العلو والارتفاع، وجبال سيناء أيضا تتخذ نفس الصفة، فيكون الاسم مشتقا من سناء أو السناء التى تعنى الضياء كما تعنى العلو والارتفاع ويقال: " سنى سنا وسناء: ارتفع وصار ذا سناء ورفعة وقدر فهو سنى وهى سنية رفيعة القدر عالية الشأن" ومن الغريب أن تحرير سيناء أعطى نفس المعانى، لا لشبة الجزيرة فقط بل لمصر كلها .

أما ربط الإله " تحوت" بسيناء وانتشار عبادته فيها لعله راجع إلى قيامه بشفاء الطفل(حورس عندما لدغه عقرب فى مستنقعات الدلتا)[1] وهناك طريق باسمه (طريق حورس) سيأتى إيضاحه فيما بعد .

إن عملية إنقاذ الطفل حورس تعنى أن الإله تحوت اتخذ موقفا ضد الشر (ست) فهو بذلك إله خير، ولذلك انتشرت عبادته فى سيناء، إن طبيعة الإنسان السيناوى تنعكس فى هذا الانتشار، أى حب الخير وكراهية الشر، وهو لا يفرق هنا عن المصرى القديم الذى أحب أوزيريس، لا لأنه فقط إله خير بل بسبب الطابع الإنسانى الذى تميز به، وكان بعثه من الموت بفعل تفانى زوجته إيزيس وإخلاصها، لكن بعثه يعزى أيضا إلى الإله تحوت الذى ساعده بالتعاويذ، وللدقة فإن مسألة الخير والشر ينبغى أن نتناولها بأبعادها الموسعة، أى أكثر من قيام شخص بارتكاب شر ما، فأوزيريس إله خير من مفهوم النماء والعطاء وهو يقترن بالنيل، أى الماء سر الوجود، إنه يقدم عطاء للجميع وليس لمجرد فرد، أما ست فهو بالعكس لا يقدم عطاء أو نماء، إنه يقترن بعوامل الجفاف، التى تضر الإنسان بصفة عامة ولكنها تضر البدوى أكثر فى الصحراء .

سيناء فى عصر المصريين القدماء:

خلال الدولة القديمة كانت هناك صلة بين سيناء ووادى النيل، ولعبت سيناء فى ذلك التاريخ دوراً مهماً كما يتضح من نقوش وادى المغارة وسرابيط الخادم. فقد كانت سيناء بالفعل " منجما " للمواد الخام كالنحاس والفيروز الذى يستخرج المصريون القدماء ما يحتاجونه فى الصناعة، كما كان سكان شمال سيناء وهم "الهروشاتيو" (أى أسياد الرمال)، وجنوبها وهم " المونيتو " الذين ينسبون إلى الجنس السامى، كانوا يشتغلون بالزراعة حول الآبار والينابيع، فيزرعون النخيل والتين والزيتون وحدائق الكروم، كما يشتغلون بحرف الرعى على العشب المتناثر فى الصحراء، ويرتادون أسواق وادى النيل

فيبيعون فيه ما عندهم من أصواف وعسل وصمغ وفحم ويستبدلونه بالحبوب والملابس .

وعبر سيناء اقتفى أحمس الأول فلول الهكسوس المنهزمة، ورفض أن يقيموا بأرض سيناء، ولم يتركهم إلا بعد أن طردهم حتى تل الفارعة على مشارف غزه، ثم تم طردهم إلى نهر الفرات ،) وهو ما أدى إلى ظهور مدينة رفح كنقطة حراسة أولا ثم تبلورها فيما بعد إلى مدينة دفاعية تحمل الطابع العسكرى) (٢)

ودلت الآثارعلى وجود " طريق حورس " الذى يقطع سيناء، وكان هذا الطريق يبدأ من القنطرة الحالية، ويتجه شمالاً فيمر على تل الحى وورمانة بالقرب من المحمدية، ومن قطية يتجه إلى العريش، وتدل عليه بقايا القلاع القديمة كقلعة ثارو ومكانها الآن " تل أبو سيفه "، وحصن "بوتو" سيتى الذى يقع الآن فى منطقة قطية والذى أنشأه الملك سيتى الأول، الذى جهز طريق حورس ليكون قادراً على استقبال الحملات العسكرية .

كما كان أيام الملك المصرى تحتمس الثالث أعظم ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشرة والملقب بالفاتح العظيم حيث وصلت الإمبرطورية المصرية فى عهده إلى بلاد فارس وآسيا الصغرى .

وقام رمسيس الثانى وهو أعظم ملوك مصر القديمة بإرسال الحملات العسكرية تباعاً مستخدماً الطريق الساحلى لشمال سيناء (طريق حورس) لإخضاع مملكة الحيثيين القوية والتى استطاع هزيمتها وعقد أول صلح مكتوب فى العالم .

كما استعان بطليموس الرابع ملك مصر فى عصر البطالمة بالفلاحين المصريين لقتال (انطيوخس) حاكم سوريا على أرض رفح ،وفى حين خشى بطليموس الرابع الهزيمة فهرب مع فرسانه الإغريق، فإن الفرق المصرية من أبناء النيل صمدت فى أرض المعركة واستطاعت رد المعتدين إلى خارج البلاد عام ٣١٧ ق.م.

وخلال العصرين اليونانى والرومانى استمرت سيناء تلعب دورها التاريخى، فنشأت فيها العديد من المدن التى سارت على نمط المدن اليونانية، والتى كان أشهرها مدينة البتراء، وهى مدينة حجرية حصينة فى وادى موسى، كانت مركزاً للحضارة النبطية التى نسبت إلى سكانها من الأنباط، وامتد نفوذ هم شمالاً حتى أطراف دمشق وهى منطقة واسعة تصل إلى أجزاء من سيناء وصحراء النقب، والمدينة تكشف عن عادة الأنباط الذين استخدموا النحت فى تشييد مبانيهم .

وهناك خلاف كبير حول أصل الأنباط، وتشير المصادر إلى أنهم من أصول عربية نزحت من الحجاز، لأن أسماء ملوكهم هى أسماء عربية كالحارث (أول ملك) وعبادة ومالك. وقد استخدم النبطيون طرق التجارة، وقاموا بتعدين كل من الفيروز فى وادى المغارة

والنحاس في وادى النصب، وزاروا الأماكن المقدسة فى جبلى موسى وسربال، كما سكن رهبان من البتراء دير سانت كاترين فى صدر العصر المسيحى، وكانت أبرشية فيران قبل بناء الدير تابعة لأبرشية البتراء، أما محاولات التشكيك فى عروبة الأنباط، فتهدف لفتح باب التسلسل الإسرائيلى للحضارة النبطية، وقد بدأ اليهود الاهتمام بالآثار النبطية، مما يعنى فتح باب جديد للتسلل إلى سيناء والأماكن الأخرى التى امتدت فيها حضارة النبط .

كانت سيناء بمثابة المنجم الذى مد حضارة مصر القديمة بما تحتاجه من معادن، ولم تكن تلك صحراء خالية من العمران. كما اتضح وجود صلات وثيقة بين سيناء ووادى النيل طوال تلك الفترة، ولم يكن هناك انفصال تاريخى بينهما، وأيضا بينهما وبين قطاع غزة وسكانه (إن أقدم العلاقات التجارية بين سكان وادى غزة وظهيرها فى بئر السبع كانت قائمة عبر سيناء مع حضارة المعادى ومصر السفلى التى بدورها كانت همزة الوصل مع حضارة الصعيد) (٣)

سيناء فى العصر الإسلامى:

قبل الفتح الإسلامى ساد مصر اضطراب بسبب رفض المصريين تدخل البيزنطيين فى جدل دينى حول طبيعة السيد المسيح، ووجد المصريون فى هذا الخلاف الدينى سبيلا للخروج على بيزنطة والقيام بحركات ضد الإدارة البيزنطية التى سادها الظلم والتعسف وخاصة فى جباية الضرائب، وقد اتخذت المقاومة المصرية شكلا خاصا بحركة هجرة إلى المعابد والأديرة بالصحراء، مما نتج انتشار الفوضى بالبلاد ثم هجم الفرس أعداء بيزنطة على مصر والشام وقد استطاع هرقل رد الفرس لكنه عجز عن تحقيق الاستقرار فى مصر بسبب استمرار المشكلة الدينية .

نتج من هذه الأوضاع الترحيب بالفتح الإسلامى لمصر من قبل المصريين الذين استقبلوا الجيش الإسلامى بالترحاب وقدموا له كل مساعدة ممكنة .

وقد سلك عمرو بن العاص طريق حورس فى شمال سيناء إلى مصر على رأس جيش مكون من أربعة آلاف جندى فاستولى على العريش فى أوائل سنة ١٩ هـ / ٦٤٠م ثم تابع زحفه من العريش إلى الفرما شرق بور سعيد، وتم فتحها بعد حصارها شهراً، وبسبب هذا الحصار وكثرة الحصون وتركه حاميات بالفرما والعريش أرسل عمرو بن العاص طالبا إمدادات فأرسل الخليفة إليه بإمدادات فبلغ الجيش الإسلامى (١٥٦٠٠ جندى) الذى تقدم ففتح مدينة بلبيس، وقرية أم دنين شمالى حصن «بابليون» ثم انتصر على جيش الروم فى عين شمس ومحاصرة حصن بابليون وبعد شهر من الحصار والمناوشات وافق «المقوقس» نائب إمبراطور الروم على مصر على دفع الجزية وكتب شروط

الصلح، ثم غادر إلى الإسكندرية، ومن هناك أرسل بشروط الصلح لهرقل فرفضها .

قرر عمرو بن العاص بعد فتح معظم أجزاء مصر التوجه لفتح الإسكندرية، عاصمة مصر حينها، وعندما وصل حاصرها ثم ترك جزءاً من قواته للحصار، بينما تحرك بباقى القوات لفتح باقى أجزاء مصر فى الصعيد .

قررت الإمبراطورية بعد موت هرقل إجراء صلح مع المسلمين نظير رحيل حاميات روما من الإسكندرية، وفى يوم ١٦ شوال ٢٠هـ الموافق ١٧ سبتمبر ٦٤١م، رحل الجنود الرومان من الإسكندرية بعد الصلح مع عمرو بن العاص،، وبذلك أصبحت مصر منذ ذلك الوقت دولة إسلامية .

وإذا كان الفتح الإسلامى قد وضع نهاية للسيادة البيزنطية على مصر والتى حرمت المصريين من إدارة شئون بلادهم، فقد كان الفتح أيضا مشجعا لبعض العناصر البدوية فى شبه جزيرة العرب للنزوح إلى سيناء والاستقرار بها مما ساعد على انتشار الإسلام بين سكانها، وقد اعتبرتها بعض هذه العناصر نقطة وثوب إلى شمال إفريقيا فاستقر بعضها فى بعض قرى مصر ومدنها، بينما نزح البعض الآخر إلى بلاد المغرب. فكانت سيناء أحد أهم المعابر البشرية خلال القرون الأولى من الفتح الإسلامى . وهذه الهجرات التى عبرت سيناء منذ الفتح الإسلامى أخذت تزداد خلال العصرين الأموى والعباسى، ثم أخذت تقل بشكل ملحوظ منذ عصر الطولونيين، نتيجة انهيار النفوذ العربى خلال العصر العباسى الثانى، وتزايد نفوذ عناصر أخرى كالفرس والأتراك .

فترة الحملات الصليبية :

فى القرن السابع الميلادى استولى المسلمون على الشام، ولم يتدخلوا فى شئون الحجاج الراغبين فى الصلاة بالكنيسة، التى شيدتها القديسة هيلانة فى موضع (القبر المقدس)

بعدها ساد سلام بين المسلمين والمسيحيين (لمدة ثلاثة قرون، وعندما قام السلاجقة الترك بحماية بلاد الإسلام من الغارات البيزنطية، والتى استهدفت النهب ،استنجد الإمبراطور الكسيس بجيرانه المسيحيين،) (٤) وتمسك البابا (أوربان الثانى) بهذه الفرصة فأخذ يصور الفظائع الشنيعة التى حاقت بالأراضى المقدسة، واصفاً فى الوقت نفسه هذه الأراضى بأنها :

(تفيض بالعسل والذهب)

وعلى إثر ذلك طغت على أوربا الجائعة موجة من الهياج الدينى وانتاب الناس حمى السعى وراء (العسل والذهب) فتكونت الحملة الصليبية الأولى التى ضمت قلة من

المخلصين المخدوعين، وكثرة من اللصوص وقطاع الطرق والشباب المفلس والنبلاء المعدمين

(يقودهم جميعا بطرس الراهب) (٥) ومع بداية الطريق تعالت صيحات مثل " إنقاذ الأراضى المقدسة من البرابرة الهمج " ثم خفت لتعلو صيحات العسل والذهب .

لكن الحملة لم تصل، لقد أبيدت بسبب أعمال النهب والسلب أثناء الطريق .

أدت هذه التجربة إلى تنظيم جيش بقيادة عدد من النبلاء أكثرهم من انجلترا وفرنسا، وبعد فترة من التدريب والتنسيق اتجهت الحملة إلى الأراضى المقدسة وعندما وصلت القدس ذبحت من المسلمين كما تفيد المصادر (٧٠ ألفاً)لكن فى نهاية الأمر، تم التصدى للحملة وطردها، لكن الحملات لم تتوقف، وبدأت مع سيناء عندما قام "بلدوين الأول" حاكم بيت المقدس الصليبى بالتوغل فى وادى عربة للسيطرة على المنطقة الواقعة جنوبى البحر الميت، ثم شيد سنة ١١١٥م حصن الشوبك ليكون مركزاً يمكّن الصليبيين من السيطرة على وادى عربة بأكمله . وفى العام التالى (سنة ١١١٦) خرج بلدوين فى حملة أخرى، وسار حتى "أيلة " على ساحل خليج، وشيد فى أيلة قلعة حصينة ليستطيع التحكم فى الطريق البرى للقوافل بين مصر والشام

وفى جزيرة فرعون شيد "بلدوين" قلعة فى مواجهة أيلة بخليج العقبة، مما مكّن الصليبيين من الإشراف على شبه جزيرة سيناء (التى أخذت تحرك فى قلوبهم ذكريات ومشاعر دينية عزيزة عليهم، لكن على الرغم من ذلك فإن رهبان دير سانت كاترين رفضوا استضافة بلدوين خشية انتقام الفاطميين فى القاهرة) (٦) مما جعل بلدوين ينصرف عائداً إلى بيت المقدس لكنه استمر فى سياسة تستهدف السيطرة على سيناء والطرق المؤدية إليها . فبنى قلعة وادى موسى فى عام ١١١٧م، وفى العام التالى خرج بلدوين بحملة عبر الطريق الشمالى الذى يمر بشمال سيناء، ووصل إلى مدينة الفرما حيث أحرقها، وفى أثناء عودته أصيب بمرض، نتيجة تناوله لوجبة من السمك أدت إلى وفاته، وحمل جثمانه إلى القدس ليدفن بها . ويذكر أنه مات مسموما، وتم تحنيطه ورمى أحشائه على ضفاف بحيرة سيربونيس، الذى سميت فيما بعد ببحيرة البردويل .

العصر الأيوبى :

تتفق المصادر أن الأيوبيين أكراد من بلدة (دوين) بأذربيجان ويقول أحمد بن خلكان صاحب وفيات الأعيان (: قال لى رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية، وكان شاذى ـ جد صلاح الدين ـ قد أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك

نزلوا تكريت ومات شاذى بها وعلى قبره قبة داخل البلد.)

وقد وصل صلاح الدين إلى مصر مع حملة وجهها الملك العادل نور الدين بدمشق بعد استغاثة الوزير الفاطمى شاور من الوزير ضرغام بن عامر، وقد نجحت الحملة بقيادةالأمير أسد الدين شيركوه فقتلت ضرغام وعاد شارو إلى منصبه .

وبعد مقتل شاور أصبح أسد الدين وزيرا في سنة ٥٦٤هـوفى السنة نفسها مات واستقرت الأمور لصلاح الدين كوزير حتى مات آخر الخلفاء الفاطميين ٥٦٥هـ، حينها استطاع صلاح الدين إنشاء ملك خاص له فى مصر وبذلك انتهت الدولة الفاطمية وبدأت الدولة الأيوبية .

و قد تمكن صلاح الدين الأيوبى من انتزاع ميناء إيلات من أيدى الصليبين فى عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م، ومن ثم صار البحر الأحمر تحت سيطرته، ولنزع السيطرة على البحر من الأيوبيين تعرضت العريش لهجوم فى عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١ م وقطعت أشجار نخيل سيناء (وحمل الصليبيون جذوعها إلى بلادهم لاستخدامها فى صناعة السفن، وذلك ضمن خطة ريناالد من شاتيون حاكم حصن الكرك الصليبى للسيطرة على البحر الأحمر.)[٧]

إلا أن الخطة فشلت نتيجة الجهود التى قام بها الأيوبيون، وخاصة صلاح الدين الأيوبى فى وقف حملات ريناالد فى البحر الأحمر و التى وصلت حتى عدن، و أسطول حسام الدين لؤلؤ – قائد الأساطيل المصرية –الذى دمر الأسطول الصليبى .وقد جهز أرناط أمير حصن الكرك حملة بحرية عام ١١٨٢م للاستيلاء على جزيرة أيلة وقلعتها وشواطىء بلاد الحجاز، ، لكن الحامية العسكرية الموجودة بالقلعة قامت عن طريق الحمام الزاجل بإبلاغ الملك العادل أبو بكر أيوب نائباً عن أخيه صلاح الدين الأيوبى الذى كان بالشام فأعد الملك العادل أسطولا حربيا وشحنه بالمقاتلين وأبحر به حسام الدين لؤلؤ، فبدأ بالأسطول الذى يحاصر الجزيرة وحقق انتصاراً عليه، وفك الحصار عن الجزيرة والقلعة .

وقد امتاز العصر الأيوبى بالاهتمام بتعمير سيناء نظرا للحروب الصليبية التى كانت تملى عليهم ضرورة إنشاء و تجديد القلاع والموانئ حماية من أى أخطار وحماية الطرق البرية والبحرية بين مصر والشام والحجاز، إلى جانب تأمين طريق الحج الذى كان يعبر صحراء سيناء إلى الأراضى الحجازية، فأنشأ طريقاً حربياً كان يسمى طريق "صدر آلة"، وأنشأ عليه سلسلة قلاع أهمها: قلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون، و"قلعة الجندى" فى وسط سيناء، كما قام بتعمير وإصلاح ميناء الطور عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وبدأت تصله المراكب المحملة بالبضائع من اليمن، وهجر أصحاب المراكب مينائى عيذاب و القصير، وقد

تبع ذلك أن صارت البضائع ترسل إلى الحجاز بصورة دورية ومنتظمة، وشجع ذلك حركة التجارة فى البحر الأحمر. كما قام الصالح نجم الدين أيوب فى نهاية العصر الأيوبى ببناء بلدة الصالحية فى " أرض السباخ " (امتداد سبخة البرد ويل) عام ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م لتكون محطة على الطريق الموصل إلى الشام .

العصر المملوكى:

المماليك أصلهم خليط من الأتراك والروم والأوربيين والشراكسة، استعان بهم الحكام المسلمون لتوطيد أركان دولهم، وقد اهتم الملك الصالح أيوب بشراء المماليك وبنى لهم قلعة خاصة بجزيرة "الروضة" فى وسط النيل، وجعلها مقراً لحكمه . تعاظم شأن هؤلاء المماليك الذين ظهروا فى التاريخ باسم المماليك "البحرية الصالحية " وخاصة بعد الحملة الصليبية سنة ٦٤٨هـ = ١٢٥٠م التى هزمت وانتهت بأسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى المنصورة .

وعندما تُوفى الملك الصالح أيوب خلفه ابنه توران شاه فى حكم مصر، فأساء معاملة المماليك البحرية، لخشيته من نفوذهم، وقد نجح المماليك فى التخلص منه بقتله فى فارسكور (٢٨ من المحرم ٦٤٨هـ = ٢من مايو ١٢٥٠م) وبذلك انتهى عصر الدولة الأيوبية ليبدأ العصر المملوكى، وقد بدأ بتولى شجرة الدر حكم مصر خلفاً لزوجها الصالح نجم الدين أيوب، ورغم مهارتها فى شئون الحكم فإنها ووجهت بالمعارضة داخل مصر وخارجها من الأيوبيين فى الشام فتنازلت عن الحكم للأمير "عز الدين أيبك" الذى فكر فى القضاء على خطر الأيوبيين فى الشام فواجههم بجيشه فى معركة بالقرب من الصالحية فى (١٠ من ذى القعدة سنة ٦٤٨هـ = ٢ من فبراير ١٢٥١م)، وانتهت بانتصاره، لكنه دخل فى صراع مع زوجته شجرة الدر لأسباب أهمها رغبته فى الزواج من إحدى بنات البيت الأيوبى، وعندما رغب بالتخلص من شجرة الدر سبقته ودبرت مؤامرة لقتله فى (٢٤ من ربيع الأول ٦٥٥هـ = ١١ من إبريل ١٢٥٧م)، ثم قُتلت بعده بأيام قليلة.

تولى الحكم "نور الدين على" ابن عز الدين أيبك، وكان فى الخامسة عشرة من عمره، وعندما بدأ الاجتياح المغولى للشرق بالاستيلاء على الأراضى الإسلامية التابعة لخوارزم شاه، ثم واصلوا سيرهم حتى أسقطوا الخلافة العباسية، قام نائب السلطنة سيف الدين قطز بعزل نور الدين، وتولى الحكم لمواجهة الخطر المغولى، وفى عين جالوت حقق نصراً تاريخيا فى (٢٦ من رمضان ٦٥٨هـ = ٣ من سبتمبر ١٢٦٠م)، وطرد المغول من المنطقة، وضم الشام إلى مصر تحت سلطة المماليك .

وبعد وفاة سيف الدين قطز تولى الظاهر بيبرس السلطة، وهو بدوره لم يترك سنة من

حكمه دون أن يحقق نصرا فاسترد من الصليبيين مدينة الكرك سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م، وقيسارية سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م، وصفد ويافا، ثم إنطاكية سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م.

ويعد العصر المملوكى بداية لمرحلة من الاستقرار فى شبه جزيرة سيناء نتيجة لتوقف موجات الهجرة العربية، والاهتمام الملحوظ بطريق الحج إلى مكة و المدينة، فقام الظاهر بيبرس (٦٥٨ – ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ – ١٢٧٧م) بتمهيد طريق العقبة بعد فتح مدينة آيلة، فصار طريق السويس ـ العقبة هو طريق الحج المصرى. كما أمنوا الطريق إلى الشام من الغارات لتأمين طريق البريد بين مصر والشام .

ويذكر نعوم شقير أن العريش نمت فى العصر المملوكى نمواً كبيراً، وأورد قول القلقشندى عنها: " مدينة ذات جامعين مفترقين وثمار وفواكه "[٨]، لكن أصابها التدهور فى نهاية العصر المملوكى، حيث يذكر النابلسى خلال رحلته إلى مصر فى تلك الفترة بأن العريش فيها " قلعة وزاوية، وبعض دور فناها خاوية)[٩] إلا أن السلطان المملوكى قانصوه الغورى (٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ / ١٥٠١ ـ ١٥١٦م) اهتم بإنشاء القلاع فى سيناء نظراً للأخطار التى كانت تحدق بدولته من ناحية الشرق وخاصة الخطر العثمانى، ومن ثم انشأ قلعة (نخل) على طريق الحج المصرى وقلعة (البغلة ونقب العقبة)، وكل هذه القلاع تركت فيها حاميات من الجنود المصريين .

كان اهتمام الدولة المملوكية بسيناء يهدف إلى تأمين حدود مصر الشرقية من الأخطار المحدقة بها ناحية الشرق، والتى كانت تتمثل حينذاك فى بقايا الوجود الصليبى، بالإضافة إلى الخطر المغولى، كما حاولت من وراء إنشاء القلاع وترميمها على طريق الحج أن تظهر بمظهر الدولة التى تؤمن لرعاياها المسلمين أداء فريضتهم الدينية، حيث إن مثل هذا العمل يظهر السلاطين فى عيون رعاياهم بمظهر دينى يليق بالألقاب التى اتخذها بعضهم.

سيناء فى العصر العثمانى :

نسب العثمانيين يرجع إلى عثمان خان بن ارطغول، وينتمون إلى عشيرة قابى إحدى قبائل الغز التى اضطرت إلى الهجرة عندما أغار جنكيز خان سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م على بلاد آسيا الصغرى .

وقد توجه العثمانيون أولا لغزو أوربا التى عجزت دولها مثل فرنسا وإنجلترا عن صد الغزو العثمانى عام ١٣٥٦م وذلك بسبب الصراع الدائر فيها وهو صراع سياسى وعسكرى بين فرنسا وإنجلترا وهو ما عرف فى التاريخ بحرب المائة عام (١٣٤٠ – ١٤٣٣ م) بالإضافة إلى الصراع المذهبى بين كل من الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية، مما مكن محمد الفاتح من حصار القسطنطينية (عاصمة بيزنطة عام

١٤٥٣ م) [١٠] والاستيلاء عليها وتحويل اسمها إلى اسطنبول الأمر الذى أنهى الإمبراطورية البيزنطية .

وبدأ العثمانيون فى التوجه بأبصارهم إلى الدول الإسلامية فى الشرق مثل دولة الصفويين فى فارس والدولة المملوكية فى مصر، وعندما تولى السلطان سليم الأول مقاليد الحكم سنة ١٥١٣ م بدأ وضع خطط السيطرة على العالم الإسلامى موضع التنفيذ وكان التوجه أولاً إلى الصفويين الشيعة فى إيران، حيث تم الانتصار عليهم وهزم الشاه إسماعيل الصفوى، ثم جرى الاستيلاء على الجزيرة والموصل وديار بكر وهى على أطراف دولة المماليك فى شمال الشام والعراق .

ثم بدأ الإعداد للقضاء على المماليك فى مصر والشام، بدأت بالانتصار فى معركة مرج دابق فى سنة ١٥١٦م وقتل السلطان الغورى والاستيلاء على حلب وإخضاع الشام ثم الزحف على مصر فاستولى عليها سنة ١٥١٧م وشنق طومان باى على باب زويلة بقلعة صلاح الدين فى القاهرة، وانتهت سلطة المماليك بمصر والشام وتم تعيين والٍ على مصر من قبل السلطان سليم الأول، فتحولت مصر إلى ولاية عثمانية وفقدت شخصيتها المستقلة.

وقد دخلت القوات العثمانية إلى مصر عبر سيناء، وهو ماجعل السلطان العثمانى سليم الأول يولى المنشآت العسكرية فى سيناء عناية خاصة لأهميتها الاستراتيجية، فبنى قلعة العريش، ورمم قلعة نخل . ومرت سيناء خلال العصر العثمانى بفترة سبات، وإن كانت تقطعها بعض فترات الجفاف التى هددت حياة البدو فلجأوا بسبب ذلك إلى نهب القوافل وتهريب البضائع . غير أن حركة التجارة بين مصر والشام راجت فى تلك الفترة بعد تأمين الطرق بالحاميات العسكرية، ولاشك أن هذا الرواج كان له أثره على سكان سيناء الذين يقومون بنقل التجارة بين البلدين، فكان الطريق البرى هو المفضل لنقل البضائع لرخص تكلفته من ناحية وسهولته من ناحية أخرى. وكان لاستخدام الطريق البرى بين مصر والشام عدة نتائج على سيناء، أهمها زيادة الاعتماد على إبل بدو سيناء مما حقق دخلاً للبدو القائمين بحركة النقل فى سيناء، فضلاً عن اهتمام الدولة بهذا الطريق وتأمينه مما كان يحقق أمن المسافرين والتجار. وكان طريق القوافل بين مصر والشام فى العصر العثمانى يبدأ من بركة الحاج فالخانقاه، فبلبيس، فغابة القرين، فالصالحية، فقطية فالعريش فخان يونس فغزة .

سيناء أثناء الحملة الفرنسية :

اتجهت أطماع نابليون إلى غزو مصر عقب انتصاراته فى حروب إيطاليا، و يقول وهو يمهد للحملة الفرنسية: " علينا أن نسيطر على مصر وأن نحفر قناة بين البحرين المتوسط والأحمر، لكى ننزل بالإنجليز الهزيمة " (١١)

لكن هزيمة الإنجليز كانت تعنى أن تكون مصر قاعدة عسكرية يصل منها إلى أملاك بريطانيا فى الهند وأملاك الإمبراطورية العثمانية أيضا .. مما يعنى إحلال إمبراطورية فرنسية محل إمبراطوريات أخرى .

وصل الفرنسيون غرب الإسكندرية يوم ٢ يوليو سنة ١٧٩٨ م .احتلوها فى نفس اليوم، ثم بدأ الزحف للقاهرة عن طريق دمنهور وتم احتلال رشيد فى ٦ يوليو، تقابل الفرنسيين بجيش المماليك قريبا من مدينة شبراخيت يوم ١٣ يوليو سنة ١٧٩٨ م، هزم المماليك فى الموقعة فرجع مراد بك إلى القاهرة ثم تقابل الجيشان - ثانيا - فى إمبابة وهزم جيش مراد بك مرة أخرى فى هذه المعركة الفاصلة فى ٢١ يوليو سنة ١٧٩٨م .

وبعد هروب مراد بك وإبراهيم بك استطاع نابليون بونابرت دخول القاهرة فى ٢٤ يوليو سنة ١٧٩٨ م.

وبالسيطرة على القاهرة تكون الحملة الفرنسية قد بدأت فى وضع حد فاصل فى تاريخ مصر الحديث، لقد تركت الحملة أثرها الواضح على وضع مصر فى بؤر الاهتمام الأوربية، كما كان لها آثارها على المجتمع المصرى، فقد رافق الحملة علماء فى شتى فروع العلم بلغوا أكثر من ١٥٠ عالما و ٢٠٠٠ متخصص من تقنيين وفنانين وكيميائيين وأطباء .

إن جهود هؤلاء العلماء فى تغطية جميع أرض مصر من شمالها إلى جنوبها ورصد وتسجيل كل أمور الحياة فيها، لم ينتج فقط كتاب وصف مصر، بل نقل مصر نقلة حضارية وثقافية كبرى، رغم أن مضمون الحملة الفرنسية هو الاحتلال لا التنوير وهو ما ينبغى التأكيد عليه، فهؤلاء العلماء حضروا خصيصا من أجل الإمبراطورية الفرنسية، التى تم التخطيط لإقامتها بالسيطرة على مصر أولا لتكون نقطة الوثوب على أملاك انجلترا وتركيا .

إن التأكيد على أن المضمون هو الاحتلال لا التنوير، يؤكده واقع أن عمليات التنوير عندما تتم فهى تتم عبر تبادل ثقافى، يستهدف اكتساب خبرات وتعليم فى جامعات ومشاريع ترجمة، لا عبر حملة عسكرية تستهدف نهب خيرات الوطن واستغلاله .

وخلال سنوات قليلة قضتها الحملة فى مصر، وقعت بسيناء معارك بين القوات

العثمانية والفرنسية، كانت بداية الاتصال بين الحملة وسيناء فى إطار الأطماع التوسعية لنابليون عقب دخوله مصر، فقد كان يطمح فى فتح الشام، ومن ثم كان لابد من استطلاع مناطق الحدود مع الشام ،(فأرسل الجنرال لوجرانج فى ٢٣ ديسمبر ١٧٩٨ م لاستطلاع ساحل سيناء الواقع على البحر المتوسط، كما أمره بإنشاء نقطة حصينة فى قطية) [١٢] بالقرب من الحدود الشامية، لكن على ما يبدو أن لوجرانج تعرض لغارات العرب فى سيناء، لكن رغم هذه الغارات والمطر الشديد الذى واجهه هذا الجنرال فقد أتم ما أمره به قائده على أكمل وجه، وأبلغ بونابرت فى ١٧ يناير ١٧٩٩ م أنه تم بناء النقطة الحصينة فى قطية، فجعلها نابليون محطة عسكرية ونقطة تجمع واستراحة لقواته .

وخلال الاستعدادات الفرنسية للحملة على سوريا تم البحث عن الإبل اللازمة لحمل المؤن والذخائر، واستطاعوا الحصول على عدد كبير منها من قبيلة الترابين، كما قاموا بعدد كبير من الدواب من القاهرة والمناطق المحيطة بها وعلى الجانب الآخر كانت التقارير تصل إلى بونابرت، حول تحركات جيوش المماليك الذين فروا إلى الشام والعثمانيين وتجمعهم بشكل متزايد فى العريش، داخل الحدود المصرية، حيث كان أحمد باشا الجزار يستعد للهجوم على القوات الفرنسية فى مصر .

ووصل عدد كبير من فرقة الجنرال رينيه إلى قطية فى الأيام الأولى من شهر فبراير ١٧٩٩ م، ثم غادرها فى ١١ فبراير متوجها إلى العريش بهدف الاستيلاء عليها بناء على أوامر من بونابرت، كما وصل (كليبر) بفرقته فى اليوم نفسه جيث تولى قيادة القوات الفرنسية المتجهة إلى العريش، وبعد يومين ونصف وصلت تلك القوات إلى المساعيد التى تبعد عن العريش بمسافة خمسة أميال ونصف الميل .

استولت الدهشة على رينيه عند وصوله العريش بعد زحف شاق فى ٨ فبراير ١٧٩٩ م، لأنه وجد معسكراً كبيراً وحصنا منيعا (قلعة العريش) وكان هذا المعسكر يتألف من ٦٠٠ فارس من العرب والترك والمماليك، ونحو ١٢٠٠ من المشاة الألبانيين الذين أرسلهم الجزار، أما الحصن فيقع شمال غرب العريش، فهو بناء حجرى مربع يقوم على أبراج مثمنة أسواره ترتفع ٣٠ قدما، كما كانت الممرات داخل المدينة محاطة بالبيوت الصغيرة مما زاد صعوبات رينيه .

(وكانت بيوت العريش مبنية بالطوب النيئ ذات أسوار عالية، وشوارعها عريضة ومستقيمة، لكن فى الحى القديم للمدينة كانت المسافات بين البيوت صغيرة والشوارع ضيقة،) [١٣] وهذا الوضع شكل عقبة أمام القوات الفرنسية، وأى قوة تحاول الاستيلاء على العريش عن طريق المغامرة بالدخول عبر المدينة بشوارعها الضيقة، فإنها ستتكبد

خسائر فادحة، وحينما وصل بونابرت إلى العريش فى ١٧ يناير ١٧٩٩م وجد المدينة لم تسقط بعد فى أيدى قواته، فلم يحسب نابليون حساباً للمسافة الطويلة التى سيقطعها فى صحراء سيناء، حتى إن عددا من جنود كليبر أقدموا على الانتحار بسبب ما لاقوه من طول المسافة ووعورتها حتى العريش، وأول عمل قام به هو الاستيلاء على العريش التى دافع عنها أهلها، لكن مصيرهم كان السيف .

وصلت قوات كليبر إلى العريش فى ١٤ يناير ١٧٩٩ م فانضم بقواته إلى قوات رينيه، وعانت قوات رينيه من الجوع لأن العريش لم تملك ماتقدمه للفرنسيين، فهى لم تتعد فى ذلك الوقت كونها بلدة صغيرة تقع بين البحر والصحراء، لكن رغم هذا حاصر رينيه وكليبر الحصن وكان الأمل ضعيفا فى الاستيلاء عليه قبل أن يصل المدد من الجنود والمدفعية، وفى ليلة ١٤ ـ ١٥ فبراير ١٧٩٩ م، قاد رينيه أربع كتائب فى هجوم مباغت على المعسكر العثمانى الذى كان تعداد قواته حوالى ١٨٠٠ جندى، وتمكن من مباغتة الجنود العثمانيين النيام فقتلوهم بالسلاح الأبيض، وكانوا يقتلون حتى وصل عدد القتلى ما بين ٤٠٠ ـ ٥٠٠ من المماليك وعدد من الكشاف، وأسر حوالى ٩٠٠ رجل، بينما لم يفقد الفرنسيون سوى ثلاثة رجال .

وفى ١٨ فبراير ١٧٩٩ ، وافق قائد الحصن إبراهيم نظام بك على تسليمه شريطة أن يسمح له وللحامية بمغادرة الحصن بسلاحهم، لكن رفض بونابرت هذا الشرط واقترح عليه تسليم الحصن أولاً بعدها سيعطيهم سلاحهم ومتاعهم بدون إهانة، بل ونقلهم إلى مصر حيث يمكنهم ركوب البحر لأى بلد يرغبون، لكن القائد العثمانى رفض هذا العرض لأنه يعلم أن مصر محاصرة، ولما يئس نابليون من طول المفاوضات والحصار، قرر ضرب الحصن بالمدافع بشكل متواصل، فأحدث ثغرة فى الأسوار، ثم تسلل بعض الجنود الفرنسيين إلى أحد أبراج الحصن لكن بلغت خسائر الفرنسيين فى ذلك اليوم حوالى ٢١ من رجال المدفعية و١٧ من رجال البنادق، و٣٥٠ من المشاة . فى اليوم التالى اضطرت القوات المحاصرة إلى الاستسلام، بعد خروجهم حمل الكثير منهم على الانضمام إلى الجيش الفرنسى، ووجد الفرنسيون فى الحصن من المؤن ما يسد جوعهم .

وصلت الأنباء إلى القاهرة تفيد باستيلاء الفرنسيين على قلعة العريش، وطاف رجل من أتباع الشرطة، ينادى فى الأسواق " أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك، وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع، فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا .." (١٤)

غادر جيش نابليون العريش فى ١٢ فبراير ووصل الشيخ زويد بعد مسيرة يومين، حيث قادهم دليلهم من البدو إلى طريق أبعد إلى الجنوب من الطريق الشمالى المعتاد، بهدف

توريطهم فى الرمال، ولم يواجههم الجيش العثمانى طوال هذه المسافة، حتى وصلوا إلى عكا فحاصر جيش نابليون المدينة، لكنه فشل فى اقتحامها لمناعة الأسوار كما ساعدت الإمدادات التى تلقاها الجزار من الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط فى صمود القلعة.

نتيجة لفشل نابليون فى الاستيلاء على عكا أن عاد بجنوده إلى العريش فى ٢ يونيو، وكانت خسارته فى يافا وعكا حطمت معنويات جنوده كما مات الكثير منهم بسبب الطاعون، وفى ٣ يونيو ١٧٩٩ غادر نابليون العريش إلى القاهرة تاركا حامية لقلعة العريش قوامها ٥٠٠ جندى .

واستعدت القوات العثمانية للزحف براً على مصر بعد فشل حملتها على أبى قير، ولما كان موقف الحملة فى مصر قد بدأ يتأزم نتيجة عدم وجود حماية بحرية بعد تحطيم أسطولهم فى معركة أبى قير البحرية، ونتيجة للمقاومة الشعبية المصرية التى تواجهها الحملة، اضطر كليبر إلى عقد مفاوضات مع قائد الأسطول البريطانى (سيدنى سميث) للتوصل إلى طريقة ما تضمن له ولقواته الرجوع إلى فرنسا بسلام، فتم توقيع معاهدة العريش الأولى فى ٣ ديسمبر ١٧٩٩ م. ولم تدم هذه المعاهدة طويلاً، حيث خرق العثمانيون هذه المعاهدة باجتياحهم للعريش فى ٣٠ ديسمبر من العام نفسه .

وبعد مفاوضات بين الجانبين الفرنسى والعثمانى تم التوقيع على معاهدة العريش فى ٢٤ يناير ١٨٠٠ (وقعها عن الجانب العثمانى مصطفى رشيد أفندى الدفتردار، ومصطفى راسخ أفندى رئيس الكتاب نيابة عن الصدر الأعظم، وعن القائد العام للجيش الفرنسى كل من الجنرال ديزيه والمسيو بوسليج، ولم يوقع عليها أحد من الحكومة الإنجليزية .) [١٥]

وبذلك انتهت أحداث الحملة الفرنسية على مصر وكانت سيناء خلالها مسرحاً لأحداث ذلك الصراع الفرنسى العثمانى فى مصر . حيث تعرضت العريش للتدمير بمدافع القوات الفرنسية، كما قتل الكثير من أهلها نتيجة استبسالهم فى الدفاع عن أرضهم، وهو استبسال أعجب القوات الفرنسية نفسها .

وعلى الرغم من سيطرة الفرنسيين على مصر فإن الاحتلال الفرنسى لم يستمر أكثر من ثلاث سنوات بسبب قوة المقاومة المصرية إلى جانب اتفاق إنجلترا وتركيا على إخراج فرنسا من مصر .

سيناء القرن التاسع عشر:

فى بلدة قولة التابعة للسلطنة العثمانية ولد محمد على وحلم بالمجد والقوة، وعندما أغار نابليون بونابرت على مصر و شرعت تركيا فى تعبئة جيوشها، وجد محمد على

الفرصة سانحة لتحقيق أحلامه فانضم إلى الجيش التركى ورست السفينة التى ركبها على ساحل أبو قير بالإسكندرية فى مارس سنة ١٨٠١م ،وقد اشترك محمد على فى عدة معارك، ولمع اسمه عندما هاجم الجيش التركى الرحمانية وانسحب الفرنسيون من قلعتها .

وقد ظل محمد على بمصر حيث حصل على رتبة بكباشى قبل جلاء الفرنسيين ثم حصل من خسرو باشا على رتبة " سر جشمه " وهى بدرجة لواء (وأصبح قائدا على جميع الفرق الألبانية) (١٦) وقد استغل الصراع الدائر على السلطة حينها فبدأ فى التودد إلى الشعب المصرى واستمالة زعمائه والاختلاط بالعامة والانضمام إلى المشايخ والعلماء، للوصول إلى قمة السلطة وخاصة بعد ثورة الشعب ضد المماليك فى مارس سنة ١٨٠٤ م من كثرة وقوع المظالم وزيادة الضرائب على الشعب المصرى وكثرة اعتداء المماليك والجنود الألبانيين على الأهالى، ثم بدأت ثورة القاهرة فى سنة ١٨٠٥م بعد اعتداء جنود الدلاة – يتبعون تركيا– بالسلب والنهب على أهالى مصر القديمة فاجتمع العلماء وذهبوا إلى الوالى خورشيد باشا وطالبوه بوضع حد لفظائع الجنود الدلاة، لكن الوالى عجز عن فعل شىء، فبدأت الثورة تأخذ طريقها ضد الوالى التركى وجنوده فاغتنم محمد على الفرصة فأيد الثورة وناصر الشعب، بينما حاول خورشيد باشا إبعاد محمد على عن مصر عن طريق الباب العالى بتركيا مما نتج عنه إصدار فرمان بتقليد محمد على ولاية جدة .

لكن الانقلاب الفعلى جاء من الشعب المصرى الذى أصدر حكمه فعزل الوالى العثمانى خورشيد باشاً وعين محمد على واليا على مصر فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٥م فتولى محمد على باشا حكم مصر نزولا على رغبة شعبها، لتبدأ مصر مرحلة جديدة من النهضة شملت كافة النواحى السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية، وقد امتدت التغيرات لتشمل سيناء، فأنشئت محافظة العريش عام ١٨١٠ م ضمن التشكيلات الإدارية التى وضعت فى هذا العام، والتى كانت تمثل أول شكل إدارى منظم فى سيناء فى العصر الحديث، ولها اختصاصات وحدود إدارية، ووضع محمد على تحت تصرف محافظ العريش قوة عسكرية لحماية حدود مصر الشرقية، وقوة نظامية لحماية الأمن داخل المدينة. كما أنشئت نقطة جمركية ونقطة للحجر الصحى (كورنتينة) بالعريش . أما الطور فقد كانت تابعة إداريا لمحافظة السويس بينما أدخلت نخل ضمن إدارة القلاع الحجازية التى كانت تتبع قلم الروزنامة بالمالية المصرية .

وفى عام ١٨٣١ قاد إبراهيم باشا جيشا مكونا من ٢٤ ألف جندى إلى الشام

ونظرا لمسار الجيش عن طريق العريش ولخدمته، فقد قام إبراهيم باشا بالعديد من الإصلاحات فى سيناء، فرمم بئر قطية وبئر العبد وبئر الشيخ زويد، كما سيّر حركة البريد إلى غزة، وجعل له محطات فى بلبيس وقطية وبئرالعبد وبئر المزار والعريش والشيخ زويد وخان يونس وغزة، واهتم بوضع حراسة على آبار المياه على طول طريق العريش.

وعند رجوع إبراهيم باشا من حملته على الشام عام ١٨٣١ م ثار عليه بدو قبائل السواركة والترابين فدمروا محطات البريد فى الشيخ زويد وبير المزار، فاضطر إبراهيم إلى مواجهتهم فى وادى غزة، فانهزمت قوات البدو وهربوا إلى بئر السبع .

وفى عام ١٨٣٤ م جهز محمد على قوة من عرب أولاد على لوضع حد لعصيان عرب غزة، لكن القوة لم تكتف بالنصر بل نهبت البيوت والماشية، بالإضافة إلى المكافأة التى حصلوا عليها من محمد على .

أدى نهوض مصر على يد محمد على خاصة بعد الانتصارات التى حققها إبراهيم باشا على الجيوش العثمانية فى شمال الشام وآسيا الصغرى، سببا فى إثارة ما عرف بـ (المسألة الشرقية)، وعقدت الدول الأربع (بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا) بمشاركة الدولة العثمانية مؤتمراً فى لندن فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ م تعهدت فيه بمساعدة السلطان على إخضاع محمد على أو بوجه آخر تحجيم دور مصر، وقد تضمنت المعاهدة منح محمد على ولاية مصر وعكا طيلة حياته، وحق الاستقلال الداخلى لمصر لكن بقيود جعلت الاستقلال مشروطا وهو ما ينفى صفة الاستقلال أصلا، وهذه القيود تمثلت فى الجزية وعدم تمثيل مصر بممثلين دبلوماسيين فى الخارج، وتحديد عدد الجيش، ومنح محمد على مهلة للموافقة على المعاهدة، وقد وافق عليها وخاصة بعد تراجع فرنسا عن مساندته، ثم أرسل السلطان إلى محمد على فرماناً فى ١٣ فبراير ١٨٤١ تقرر فيه إعطاؤه وأسرته (حكومة مصر وراثية على أن يختار الباب العالى نفسه من يتقلد منصب الولاية من أبناء محمد على الذكور) (١٧) والحكم بهذا الشكل بدا كمنحة من السلطان العثمانى، لكنه فى الحقيقة استهدف السيطرة عن طريق اختيار شخص يمكنهم التحكم فيه، وأعيدت مصر بذلك لسلطه الباب العالى كولاية عثمانية .

وبموجب معاهدة لندن ١٨٤٠ م وفرمان ١٨٤١ م باتت دولة محمد على محصورة داخل حدود غير أصلية رسمت لمصر التى حددها الفرمان بخط من العريش إلى السويس، لأن سيناء اختفت منها، وهو ما أدى إلى أزمة طابا عام ١٩٠٦ .

وخلال فترة حكم عباس الأول (١٨٤٨ – ١٨٥٤) لاقت سيناء اهتماما من الناحية السياحية، فبنى بالقرب من الطور حماما كبريتياً، كما مهد الطريق من دير سانت كاترين

إلى قمة جبل موسى لتسهيل حركة السياح، وشرع فى بناء قصر على جبل " طلعة " غربى جبل موسى، ومد طريق العربات من مدينة الطور إلى القصر، لكن لم يقدر لهذه الأعمال أن تنفذ بأكملها، حيث مات عباس قبل أن يتمها .

لكن اهتمام عباس الأول يرد على كثير من الدعاوى التى تقال بأن السياحة فى سيناء بدأت أثناء الاحتلال الإسرائيلى لها، ونتيجة لوجودهم فيها، وأن المصريين لم يعرفوا القدرات السياحية لسيناء إلا بعد الاحتلال، لكن الوقائع التاريخية ترد بالعكس .

أما خلفه محمد سعيد (١٨٥٤ – ١٨٦٣م) أقام فى سيناء نقطة للحجر الصحى فى الطور، بهدف التأكد من سلامة الحجاج، و أثناء حكم إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) تعددت زيارات الرحالة إلى سيناء وكان أهمهم البروفيسور بالمر حيث أرسلته بريطانيا عام ١٨٦٨ م على رأس لجنة علمية للتنقيب فى منطقة الطور ورسم خريطة لسيناء. لكن كان أهم تلك الأحداث التى أثرت على سيناء خلال تلك الفترة هو افتتاح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩م، التى كان لإنشائها آثار هامة على شبة الجزيرة . وكان من نتائج إقامة هذا الممر الملاحى المهم أن أنشئ عدد من المدن على ضفتى القناة مثل الإسماعيلية والقنطرة رغم أن منطقة الإسماعيلية كانت معروفة تاريخيا قبل القناة باسم – " نفر أياتب " فى العصر الفرعونى و"بيتوم" فى العصر الرومانى والمدينة الأخرى هى القنطرة شرق ويقع فيها " حصن ثارو " الفرعونى " .

ظلت سيناء مسرحاً للمعارك، ورغم قوه عصر محمد على وعمله بجهد على تحديث مصر، مما جعل القوى الكبرى تخشى تلك النهضة التى شملت كافة النواحى فإن (موقف سكان سيناء من محمد على كان موقفا معاديا نظراً لاستخدامه أسلوب الشدة والقوة العسكرية ضد أى تمرد أو عصيان لأوامره)[١٨] كما أن عمليات الإصلاح أو التجديد فى منشآت ومبانى شبه جزيرة سيناء طوال تلك الفترة لم تكن إلا لأغراض استراتيجية وعسكرية بحتة .

هوامش

١- مجموعة مؤلفين :معجم الحضارة المصرية القديمة - ترجمة أمين سلامة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦
٢- سليم عرفات المبيض : غزة وقطاعها - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٧
٣- نفس المصدر
٤-/ هندريك فان لون : قصة الجنس البشرى (ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشنتناوى) - كتاب الشعب - القاهرة - ١٩٥٨
٥- نفس المصدر
٦- إعداد : محافظة شمال سيناء - نشرات وكتيبات غير دورية - الإدارة العامة لمركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار - محافظة شمال سيناء - ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦
٧- نفس المصدر
٨- / نعوم بك شقير : تاريخ سيناء - مطبعة المعارف - مصر - ١٩١٦
٩- نفس المصدر
١٠- محمد مفيد الشوباشى : ألمع ساعات الحرج فى تاريخ الإنسانية - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة - ٢٠٠٤
١١ - هيرالد كريستوفر: نابليون بونابرت فى مصر (ترجمة : فؤاد أندراوس) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦
١٢- نفس المصدر
١٣- .... مصدر سابق
١٤- نعوم شقير :
١٥- نفس المصدر
١٦- لويزا مولباخ : محمد على بك الكبير (بدون مترجم) - دار الهلال - القاهرة - ١٩٥٢
١٧ عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٠
١٨- نعوم بك شقير : مصدر سابق

الفصل الثالث

الأطماع الصهيونية فى سيناء

البدايات:

مشكلة اليهود أنهم أرادوا أن يكون لهم أرض وأن يمتلكوا تاريخاً، فسرقوا الأرض وزيفوا التاريخ، عبر رواية توراتية متخيلة كتبت فى فترة السبى البابلى، وإذا كانت الصهيونية وجدت كما يذهب الباحثون لمنع (ذوبان) اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها، فإنها وقعت فى ما حاولت إنقاذ اليهود منه، أى حالة الذوبان، لكنه ليس ذوباناً فى مجتمعات بل ذوبان فى مشاريع إمبريالية .

وحقيقة الحال أن الحركة الصهيونية لم تقم من أجل منع (ذوبان) كما يذهب الباحثون،

فابتداء من بعد السبى البابلى فإن أعتى المجتمعات وأيضا أكثرها تسامحا، لم تستطع طول التاريخ اليهودى بعد كتابة التوراة أن تذيب اليهود فيها، لسبب بسيط أن اليهود آمنوا تماما بأنهم (شعب الله المختار) فكيف يمكنهم الذوبان فى شعوب ليست مختارة ؟؟

إن هذا الإيمان العنصرى الذى تغلغل فيهم وتمكن تماما منهم، هو الذى جعل الصهيونية تذوب فى مشاريع إمبريالية، وتفسير ذلك أن المشروع الإمبريالى هو مشروع استغلالى عنصرى، لا ينهض على قيم الحق والعدل والتسامح، وهو ما يتفق مع الإيمان المتغلغل بأعماقهم وفوق ذلك أعطاهم المشروع الإمبريالى ما أرادوا : أرضا ليست لهم

وساعدهم فى ترويج تاريخ مزيف، وإذا أردنا الدقة أكثر فإنه فى الحقيقة وضعهم فى (ثكنة عسكرية) تابعة له .

بعد الحرب العالمية الثانية بسنوات وتحديداً فور انتهاء العدوان الثلاثى على قناة السويس، استيقظت الدول الاستعمارية القديمة ونظرت حولها، فوجدت مستعمراتها سرقت ومواردها نهبت وخيرة عقولها ضاعت، وتلفتت باحثة حولها عن السارق، فوجدت الإمبراطور الأمريكى واقفا أمامها، فتوقف لسانها فى حلقها، وكان الصمت له سبب :

قبلها بعشرين قرنا من الزمان وقف متهمان أمام الإمبراطور الرومانى، أحدهم لص وقاطع طريق واسمه " بارباس " والثانى هو " المسيح عليه السلام " وقد أراد الإمبراطور إعطاء فرصة لليهود حول ما ظنه مشاكل داخلية، فأعلن أنه سيعفو عن واحد من الاثنين وفى ظنه أنهم سيختارون " المسيح " لكنهم صاحوا:

" ليس هذا الرجل .. بل بارباس "

فأطلقوا سراح قاطع الطريق وصلبوا المسيح

وقد خرج بارباس سليما معافىً، واستمر ينهب ويقطع الطريق لكن هذه المرة باسم القانون، وجاء أولاده وأحفاده ينهبون ويقطعون الطرق بمرسوم إمبراطورى، ثم منحوا أكاليل الغار، فى الهند ومصر والجزائر وليبيا والشام والجزيرة العربية، حتى إبداعات العرب واكتشافاتهم الجغرافية لم تسلم من النهب .

فهل يمكن للدول الاستعمارية القديمة أن تتهم الإمبراطور الأمريكى علنا بسرقة ما سرقته هى من قبل ؟

ولو فعلت فستعترف فى الوقت نفسه بأنها ليست دولا مسيحية، لأن المسيح عليه السلام نهى عن السرقة والقتل وتخزين المال وصاح :

" حيث تكون أموالكم تكون قلوبكم "

ومع ذلك فقد ظلت تلك الدول تشيد الكنائس وتنهب العالم وتتعاون مع الذين صلبوا المسيح وأطلقوا سراح قاطع الطريق .. وآل إرث أوربا الاستعمارية إلى أمريكا . وكانت أمريكا مستعدة تماما لاستغلال هذا الإرث على أفضل ما يكون .

ماهى الصهيونية ؟

الصهيونية حركة سياسية يهودية استهدفت تجميع الشعب اليهودى فى أرض فلسطين و مقولة "الشعب اليهودى"، تؤكد إيمانهم بأن الجماعات اليهودية فى العالم تشكل أقلية فعلا لاتنتمى للبلاد الذين يعيشون فيها، بل تنتمى إلى أرض الميعاد أو صهيون، أى فلسطين ولذا فإن الولاء يوجه أولا لهذا الوطن (صهيون) ويحرك الصهيونية

اعتقادان متناقضان :

الأول: عودة المسيح المخلص بشعبه إلى أرض الميعاد ويحكم العالم من جبل صهيون

والثانى: الإيمان بأن الشعب اليهودى عانى من الاغتراب عن ذاته وعانى من التفرقة العنصرية بسبب تشتته خارج وطنه، بعد تحطيم الهيكل على يد الرومان، لذا فهو شعب مختار وهو أيضا شعب منفى !!، مرتبط بأرضه، ينتظر دائماً لحظة الخلاص والنجاة.

وحل المشكلة يكمن فى الاستيطان فى فلسطين .

لكن هذا الحل كشف عن زيف دعاوى الصهيونية، لأنه إذا كانت فلسطين هى أرض الميعاد فلماذا كان هناك تفكير فى أماكن أخرى مثل الأرجنتين، أوغندا، ليبيا، قبرص، جنوب نهر الليطانى – الجليل الأعلى ،العراق، أوديسا، لتكون ملجأ لليهود قبل التوجه لسيناء وفلسطين ؟

إن الإجابة على السؤال تكمن فى حصول إسرائيل على دعم مستديم من القوى الإمبريالية ما كانت ستحصل عليه لو أقيمت فى مكان آخر لا أهمية له، أما الشق الثانى من الإجابة فنجده فى عملية استغلال وجود إسرائيل بالمنطقة للتدخل الإمبريالى، بما يفيد القوى الاستعمارية، وقد ظهر ذلك على أوضح ما يكون عندما قاومت أمريكا الاتحاد السوفييتى وأصبحت إسرائيل ضمن استراتيجية مقاومة امتداد الخطر الشيوعى، وبعد انتهاء الخطر الشيوعى أصبحت أمريكا موجودة بالشرق الأوسط بحجة إحلال السلام بين إسرائيل وجيرانها، وبعد هجمات سبتمبر تم وضع إسرائيل ضمن استراتيجية أخرى اسمها مقاومة الإرهاب .

أما قولى : " يحكم الصهيونية اعتقادان متناقضان "، فيأتى من كون الارتباط اليهودى بالعودة إلى الأرض المقدسة، ارتباطا توراتيا له شروطه، لأن عودة اليهود– حسب المعتقد الدينى– لا يمكنها أن تتم إلا على يد مبعوث من الخالق، هو المسيح المخلص، وليس على يد حركة سياسية مثل المنظمة الصهيونية العالمية ولذا حينما ظهرت الحركة الصهيونية عارضتها المنظمات اليهودية فى العالم واتهمتها بالتجديف والهرطقة .

أما الدعاوى الدينية للصهيونية بأن شبه جزيرة سيناء كانت تقع فى مملكة يهوذا القديمة

فالرد عليه بأن يهوذا قد ظهرت (كبلدة صغيرة مسورة فى مطلع عصر البرونز الوسيط، حوالى عام ١٨٠٠ ق.م، ولم تتعد مساحتها فى ذلك الوقت الـ ٤,٥ هكتار ممتدة على ذروة هضبة عوفيل الضيقة إلى الجنوب من السور الحالى للحرم الشريف وتدعى هذه المدينة لدى علماء الآثار بالمدينة اليبوسية، نسبة إلى سكانها من اليبوسيين الكنعانيين

الذين سكنوها قبل وصول الإسرائيليين) [1]

وهي بذلك بلدة فلسطينية أساسا، حيث جاء سكانها من مناطق فلسطينية رعوية سادها الجفاف، ثم إن الحفريات التي تمت في سيناء لم تجد ما يدل على أي وجود يهودي في شبه الجزيرة، فكيف تكون يهوذا (مملكة كبرى) ولا تترك أثرا ؟ وحديثي يشمل أيضا حفريات تمت بمعرفة علماء آثار مكلفين من قبل السلطات الإسرائيلية عندما كانت سيناء تحت الاحتلال " ١٩٦٧– ١٩٨٢ " .

تحركات هرتزل:

وقد التقى هرتزل في لندن باللورد روتشيلد عام ١٩٠٢ بهدف استيطان سيناء، واستمرت اتصالات هرتزل مع المسؤولين البريطانيين ومنهم جوزيف تشمبرلين (وزير المستعمرات البريطاني) واستهدف هرتزل الحصول على امتياز باستيطان سيناء من الحكومة البريطانية التي قدمت إليه فكرة مفاوضة مصر على (هذا الجزء من أراضيها)[2] كما أرسلوا توصيةالى اللورد كرومر ببحث المشروع، وقد تم إرسال بعثة فنية إلى مصر عام ١٩٠٣ ومكثت في سيناء شهرا ثم أعدت تقريرها، وتذكر بعض المصادر أنه لأسباب اقتصادية وسياسية فشلت المساعي الصهيونية في إقامة مستعمرة بسيناء، وتوضح نفس المصادر أن الأسباب الاقتصادية تكمن في عدم توفر المياه، أما السياسية فهي وقوع مصر تحت سيطرة الاحتلال البريطاني فعلاً رغم كونها تحت السيادة العثمانية، وهناك خوف بريطاني من قيام اليهود مستقبلا بالوثوب إلى فلسطين التابعة للممتلكات العثمانية وأن يكون الوثب من مناطق واقعة على حدود تلك الممتلكات .. لكن مجرى الأحداث يدل بغير ذلك ويقول نعوم شقير في كتابه تاريخ سيناء : (بني محافظ سيناء سنة ١٩٠٧ مركزا للبوليس في رفح قرب عمودي الحدود وهو مؤلف من مكتب فيه أربع غرف ودار مسقوفة وله سور ضلعه الشرقية على خط الحد الشرقي وبني بقربه مساكن للبوليس الهجانة فيها عشر غرف ومنزل لوكيل الناظر ..

وحضر حديثا (والكلام مازال لنعوم شقير) بعض رجال الجمعية الصهيونية إلى رفح واشتروا من أهلها بعض الأراضي بقصد تأسيس مستعمرة لهم هناك وكان بعض تلك الأراضي للحكومة وبعضها متنازعا على ملكيته فلمْ يثبت لرجال الجمعية من الأرض ما يكفي لإنشاء مستعمرة فوقف عملهم) [3]

وهذا يدل أن الحركة الصهيونية لم يتوقف عملها أبدا في سيناء، ولا منطق للقول إن الجمعية الصهيونية عملت وحدها في رفح، لأن هرتزل نظم الجمعيات الصهيونية المختلفة في العالم ضمن إطار واحد، وجمعها جميعا في المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ في

مدنية بال فى سويسرا، وإن الأسباب الاقتصادية والسياسية التى قيل إنها أوقفت المساعى فى سيناء، من المرجح أن تكون بنيت على ملاحظات قيلت علناً لإخفاء الأسباب الحقيقية، فآبار المياه كانت على طول خط الساحل بسيناء وحتى رفح على الحدود، (كما أوصت البعثة بضرورة إيصال مياه النيل إلى أى مستعمرة صهيونية يتم إقامتها عن طريق سحارات تمر تحت قناة السويس) [٤] أما الأسباب السياسية فمردود عليها حصول اليهود على وعد بلفور بإنشاء وطن قومى فى فلسطين وقبلها حصولهم على التشجيع من قبل السلطات البريطانية لتحقيق أطماع بريطانية خالصة، وضغطها على الحكومة المصرية بالموافقة على توطين اليهود فى سيناء .

وأرى أن الأسباب الحقيقية لفشل المشروع الصهيونى فى استيطان سيناء بتلك السنوات المبكرة يرجع لعوامل أخرى، أحدها لأسباب وطنية فى مصر والآخر يكمن فى معارضة المنظمات اليهودية للمشروع الصهيونى نفسه، لقد كان على الحكومة البريطانية أن تواجه الحركة الوطنية فى مصر المطالبة بالاستقلال، وأن لا تزيدها اشتعالا بالمساعدة فى إنشاء مستعمرات يهودية على أراضٍ مصرية، وهى التى سبق أن عارضت فرمان السلطان التركى عبد الحميد الثانى الصادر فى عام ١٨٩٢ بحرمان مصر من سيناء وذلك بمنع (الخديوى عباس حلمى الثانى من غدارة شبه جزيرة طور سيناء)[٥].

وفى دفاع تركيا عن الفرمان استخدمت طريق الحج المصرى وأظهرت خطورة أن يبقى طريق حج إسلامى فى يد السيطرة البريطانية، وتجنبت بريطانيا أن تكون سيناء مفتاحا لفتح باب احتلالها لمصر فعملت على إغلاقه . كان مركز بريطانيا فى مصر (فى غاية الضعف والوهن، لأن مصر كانت من الناحية الشرعية واقعة تحت السيادة العثمانية، ولما كان مركز انجلترا الفعلى فى مصر لا يزال هو الآخر يلقى مقاومة من الدول الأوربية خصوصا فرنسا، عدا ما يلقاه من مقاومة فى مصر نفسها من شعبها، فلهذا ولتحسين الموقف أبرمت انجلترا الاتفاق الودى مع فرنسا فى ٨ ابريل عام ١٩٠٤) [٦]

ومع تصريحات حكومات ألمانيا والنمسا وإيطاليا بعدم اعتراض أعمال بريطانيا فى مصر تكون انجلترا حصلت على (حقوق السيادة كاملة على مصر) [٧]

بريطانيا أولا

ما سبق يكشف عن أحد الأسباب الحقيقية فى مسألة عدم تحقيق الاستيطان الصهيونى بسيناء، لتمكين بريطانيا من تثبيت أقدامها فى مصر أولا وإحكام السيطرة

عليها، بتحييد القوى الخارجية المناوئة والتفرغ للقوى الداخلية، وهى الحركة الوطنية التى بدأت مع احتلال بريطانيا عام ١٨٨٢ وكان إنشاء مستعمرات صهيونية بسيناء سيزيد الموقف تعقيداً، ثم جاء إعلان الحماية البريطانية على مصر عام ١٩١٤ ليستهدف بسط السيطرة عليها تماماً وينص الإعلان :

(يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى، أنه بالنظر إلى حالة الحرب التى سببها عمل تركيا، قد وضعت بلاد مصر تحت حماية جلالته وأصبحت من الآن فصاعدا من البلاد المشمولة بالحماية البريطانية، وبذلك قد زالت سيادة تركيا على مصر وستتخذ حكومة جلالته كل التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها) (٨)

إن عبارة مثل : " التدابير اللازمة للدفاع عن مصر وحماية أهلها " هى صياغة تتكرر بشكل أو بآخر مع كل محتل، ويضاف إليها توابل وبهارات الحرية والديمقراطية، مع أن الحرية تنتفى مع أى احتلال، والديمقراطية لا ترافق الجيوش فى تحركاتها الاستعمارية خارج حدود دولها لاحتلال جزء من أراضى غيرها .

كما أن عبارات مثل (المشمولة بالحماية البريطانية) و (زالت سيادة تركيا على مصر) يمكن أن تصاغ بالشكل التالى دون أن يحدث أى تغير فى المضمون : أيها المصريون نحن البريطانيين باحتلالكم إنما نحرركم من الاحتلال العثمانى، وعندما ننهب مواردكم فنحن نمنع العثمانيين من نهبها .. فاسعدوا وافرحوا !!

كشف الأوراق :

أما مسألة المنظمات اليهودية فتراها فى ذلك الاعتقاد اليهودى الذى سقته فى بداية هذا الفصل، وهو عودة المسيح المخلص بشعبه إلى أرض الميعاد ويحكم العالم من جبل صهيون لأن عودة اليهود- تبعا لمعتقدهم الدينى - لا يمكنها أن تتم إلا على يد المسيح بنفسه، وليس على يد حركة سياسية مثل الصهيونية . إن ذلك الاعتقاد الذى أظهر الخلاف بين الحركة الصهيونية والمنظمات اليهودية، أدى إلى تخوف الحركة الصهيونية من عدم إنصات اليهود لها والابتعاد عنها، فلا تتحقق أهدافها، فعملت على محاربة تلك المنظمات بنفس سلاحها أى باللعب على الوتر الدينى مثل الحنين إلى الهيكل، والعودة إلى أورشليم والعنصرية .. وغيرها فى محاولة لسحب الثقة من رجال الدين الذين يحتكرون كتابهم المقدس إن هذه العوامل أدت إلى محاولة صرف النظر عن سيناء ثم تركيزه على فلسطين، لكن فى نهاية عام ١٩٤٨ تبدأ الصهيونية فى كشف أوراقها بقيام القوات الإسرائيلية باختراق الحدود المصرية، لبسط السيطرة على سيناء، ورغم أن المحاولة فشلت لتدخل بريطانيا التى خشيت على مصالحها فى قناة السويس ومصر

عموماً، إلا إنها محاولة كشفت عن طبيعة أطماع الصهيونية فى سيناء، والمقولة التى طبقت على فلسطين هى نفسها التى طبقت على شبه الجزيرة، فالعرب ليس لهم وجود فعلى فى فلسطين وسيناء أيضاً خالية، وإذا كان هناك بعض العرب فوجودهم ليس حضارياً ، بمعنى أنهم فى نظر الصهيونية جماعة من البدو الرحل ينقصهم كل شيء بلا خبرة عسكرية ولا حضارة .

أين الحدود ؟

الدولة اليهودية ليست لها حدود جغرافية و لاتنوى أن ترسم لها حدودا لأن هدفها الاستيلاء على أهم منطقة فى الشرق الأوسط ومنها قناة السويس، لبسط سيطرتها على البلاد العربية، لتتحكم فى التجارة العالميةوتحتل سيناء و فلسطين قطاعا هاما فى تلك المنطقة الهامة، وهو ماجعل إسرائيل فى مفاوضات الهدنة عام ١٩٤٩ تصر على ضم منطقة النقب إليها وهو ما نجحت فيه فعلا، ثم نجحت فى فك الحصار على مضايق تيران من خلال عدوان ١٩٥٦ على قناة السويس . ثم احتلال سيناء بالكامل عام ١٩٦٧ .

وتكشف يوميات موشيه شاريت (إن حرباً ضد مصر، بهدف احتلال قطاع غزة وسيناء، كانت على جدول أعمال القيادة الإسرائيلية منذ خريف العام ١٩٥٣، على الأقل، وقبل إبعاد محمد نجيب وتولى عبد الناصر زمام الحكم فى مصر بسنة تقريباً، ورأت تلك القيادة أن الظروف الدولية لم تكن قد نضجت بعد، وأنها قد تصبح كذلك خلال ثلاث سنين. وكان الهجوم العسكرى على غزة (٢٨ شباط/ فبراير ١٩٥٥) بمثابة خطة تمهيدية مبرمجة عن سابق عمد لتلك الحرب ١٩٥٦) (٩)

وإذا كان هرتزل قد اكتشف مبكراً حقيقة بديهية هى أنه لابد لتنفيذ الرؤية الصهيونية من الاعتماد على دولة إمبريالية كبيرة، تقوم بتوفير الأرض للمستوطنين الصهيونيين وبحمايتهم والدفاع عنهم لذا توجه هرتزل إلى جميع الدول الكبرى ذات المصالح الإمبريالية فى الشرق الأوسط، كالإمبراطورية العثمانية وفرنسا وألمانيا وبريطانيا، فقد ورثت الصهيونية فيما بعد اكتشاف هرتزل مع ما ورثت، فكافة المؤامرات التى حاكتها فى الشرق الأوسط تمت بالاعتماد على دول إمبريالية والتنسيق معها .

سيناء تحت الاحتلال :

يتميز الاستعمار الاستيطانى، بأنه مشروع مخطط مسبقا، ويتوقف نجاحه على إمكانياته التنظيمية و ملاءمة مؤسساته للمهمات التى حددت لها، وقدرتها على إحلال جماعة بشرية محل السكان الأصليين، عبر تغييبهم بأى وسيلة حتى لو كانت الاغتيال ووضع اليد على الأراضى، وإقامة كيان سياسى جديد عليها، ونظراً للتغيير الجذرى الذى

يرمى إليه هذا الاستعمار، (واحتدام تناقضه مع الوضع القائم فى الإقليم المستعمر، فإن صراعه مع السكان الأصليين يتميز ضرورة بدرجة عالية من الحدة، يكون العنف وسيلتها الرئيسية لتحقيق الغاية المتوخاة من هذا الاستيطان) (١٠) وهذا الأمر لا يتوفر للقائمين عليه دون الاعتماد على قوة دولية تمدهم بالوسائل الضرورية للتغيير الجذرى فى الإقليم المحتل .

واحتلال سيناء عام ١٩٦٧ مشروع مخطط مسبقا، وكما أكد شيمعون بيريز بقوله (لقد أعددنا لهذه الحرب منذ عشر سنوات)

إن هزيمة ٦٧ أدت إلى استنزاف الحركة القومية العربية، وعرقلة التحولات التى أحدثتها، وأسقطت مشروعها النهضوى، وبالتالى كشف الاحتلال عن سياسته فى اختيار فلسطين وسيناء مركزاً لنشاطه لأن موقعيهما استراتيجى ملائم يتيح لعب الدور المكرس لها بصورة فاعلة فوظيفة إسرائيل فى الجوهر، لا تختلف كثيراً عن القواعد العسكرية، أو الثكنات، التى أقامتها الدول الاستعمارية للقفز منها على أى حركة تحرر فى الوطن العربى، مما يتيح لها دائماً السيطرة على مقدراته وخيراته .

ولكى تكون سيناء (قاعدة آمنة) للمشروع الاستيطانى، فإنه لابد من عزلها تماما عن مصر وقطع كافة الروابط معها استعدادا لتهويدها. وكان نجاح المشروع الاستيطانى فى سيناء يتوقف على نجاح هذه المهمة، و الخطوة الأولى بعد الاحتلال، هى محاولة تدويل سيناء فى مؤتمر الحسنة بوسط سيناء عام ١٩٦٨ لكن مشايخ سيناء اعترضوا وأعلنوا انتماءهم لمصر على لسان (الشيخ سالم الهرش)، فأقدمت إسرائيل على خطوتها الثانية، وهى محاولة تهويد سيناء بإطلاق أسماء عبرية على مناطق بها، وإقامة مستوطنات يهودية مثل مستعمرة ياميت قريبا من الشاطىء بمنطقة أبو شنار، ثم إطلاق هذا الاسم على كافة المنطقة المحيطة بالمستعمرة بدلا من الاسم الأصلى (أبو شنار) وتشجيع نشاط المؤسسات الصهيونية فى سيناء، ثم محاربة أبناء سيناء (بدوا وحضرا) مادياً ونفسياً وعبر الممارسة العنصرية وترويج الأفكار الاستعمارية على نحو مايعلن بيجن (إن إسرائيل أقدر على تعمير سيناء من المصريين) وإذا كان الاستعمار الاستيطانى قد نجح فى ضرب المشروع القومى و احتلال سيناء، فقد فشل فى عزل شبه الجزيرة عن الوطن الأم، و لم ينجح فى تغييب الشعب السيناوى، ونفى هويته وقطع صلته التاريخية بوطنه، لقد صمد أهالى سيناء ثم أشعلوا حركتهم الوطنية، وساعدوا فى إقامة مركز الإغاثة والتجمع الذى أنشأته المخابرات الحربية المصرية داخل سيناء فى بئر العبد، لإخلاء الضباط والجنود المصريين بواسطة المراكب إلى مدن القناة مثل بورسعيد، (*) كما قدمت كثير من القبائل

للقوات المسلحة المصرية مساعدات عديدة فى حروبها المختلفة . بالإضافة إلى أن بعض الأفراد من القبائل السيناوية قامت بتدمير كثير من الأسلحة الثقيلة التى تخلفت عن الجيش المصرى فى حرب ٦٧ حتى لا تقع فى يد العدو وبعض هذه الأسلحة استخدمت فى أعمال المقاومة، إن عمليات مساعدة الجنود المصريين للدخول إلى سيناء للقيام بأعمال تخريبية ضد منشآت قوات الاحتلال استمرت على يد أهالى سيناء ومنعت المحتلين من الحصول على أى استقرار، وأفشلت أحد أهداف الصهيونية، ثم جاءت حرب أكتوبر فهددت الصهيونية بخطر الانهيار فى الشرق الأوسط وفشل مشروعها التام فيه لولا التدخل الأمريكى، فالكيان الصهيونى لم يقم وحده وإنما فى سياق مشاريع إمبريالية سبق أن وضعت ترتيبات لضمان مصالحها . لكن ماذا يحدث عندما تتغير الحسابات تبعا لتغيرات فى ميزان القوى ؟؟

هوامش

١- فراس السواح : أورشليم واليهودية ومسألة الهيكل - مجلة ألف - على شبكة الإنترنت
http://www.aleftoday.net/
modules.php?name=News&file=article&sid=1320
٢- قدرى يونس العبد : سيناء فى مواجهه الممارسات الإسرائيلية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٧ .
٣- نعوم بك شقير : تاريخ سيناء - مطبعة المعارف - القاهرة - ١٩١٦
٤- محمد الشافعى ومحمد يوسف: السد العالى - الهيئة المصريةالعامة لقصور الثقافة - القاهرة - ٢٠٠٧
٥- خالد محمد القاضى : طابا مصرية - مكتبة الأسرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٠٠٠
٦- عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر (الجزء الأول) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٩٨
٧-- عبد الرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٧
٨- شاريت موشيه : مذاكرات شخصية- مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - ١٩٩٦.
٩ - إلياس شوفانى : مقدمة فى المشروع الصهيونى - مقال منشور على الإنترنت http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=2104&rel=1
١٠- مصدر سابق

(*) نشرت جريدة البوادى فى عددها العاشر يناير ٢٠٠٦ فصلا كاملا من كتاب " شعبنا المجهول فى سيناء " للواء فؤاد حسين يذكر فيه بطولات أهالى سيناء وتضحياتهم ومقاومتهم للاحتلال الإسرائيلى كما ينفى فى ذات الفصل الاتهامات التى وجهت إلى أبناء سيناء بأنهم لم يساعدوا القوات المسلحة المصرية فى تحرير سيناء إلى جانب الاتهامات الأخرى بأنهم عملاء مزدوجون للجانبين، وإذ ينفى هذه الاتهامات فهو يؤكد فى ذات الوقت على بطولات أبناء سيناء واعتبارها ملحمة وإنجازات ضخمة لايمكن إغفالها، وتاريخا مشرفا لا يعرفه الكثيرون وقد حاولت سلطات الاحتلال أيضا تعيين مشايخ جدد لقبائل سيناء بعد هجرة معظم المشايخ الأصليين إلى الوادى ولكن لم يقبل أحد مسئولية المشيخة إلا بعد الحصول على تصديق من السلطات المصرية ممثلة فى المخابرات الحربية التى كانت على اتصال مستمر بالأهالى وقد أعطت لهم الإذن بإدارة شئون قبائلهم إلى أن يتم التحرير .

الفصل الرابع

عبقرية التاريخ

طهارة المكان :

سيناء هى الأرض التى مر بها ولجأ إليها أنبياء الله : فسار عليها إبراهيم عليه السلام قاصداً مصر فأقام فيها فترة ثم عاد من خلالها مع زوجته سارة والسيدة هاجر التى تزوجها وأنجب منها إسماعيل . وعبرها يوسف بن يعقوب عليهما السلام بعدما غدر به أخوته فعوضه الله بمنزلة عظيمة فى مصر، واتجه إليها موسى وعاش هناك وتزوج ابنة شعيب من مدين، وعلى جبالها شرفه الله بأن كلمه بالوادى المقدس طوى، وهناك تلقى ألواح الشريعة، ثم على ترابها مات موسى وأخيه هارون . وعليها مرت العائلة المقدسة، السيدة العذراء والسيد المسيح طفلاً إلى مصر، ثم عادت رحلة العائلة المقدسة بعد ذلك إلى فلسطين عبر سيناء أيضا وقد ترك كل ذلك أثره فى شبه الجزيرة، فجبل موسى بأعلى قمته كنيسة صغيرة وجامع، و وعلى مدخل مدينة سانت كاترين يوجد قبر النبى صالح، وقبر هارون وهما من المزارات الدينية أما دير البنات فيقع فى وادى فيران وقد بنى فى نفس توقيت بناء دير سانت كاترين فواحة فيران كانت مركزاً رئيسياً للرهبان المسيحيين فى سيناء .

أما دير سانت كاترين نفسه فهو يقع عند قاعدة جبل موسى، و يتكون من الكنيسة الكبرى وكنيسة العليقة والمسجد الفاطمى ومكتبة الدير التى تضم مجموعة من المخطوطات المكتوبة باليونانية والعربية والوثائق التاريخية كوثائق العهد والأمان من ملوك

وأمراء مصرإلى رهبان الدير ويحوى الدير العديد من المقتنيات الأثرية التى تعودإلى عصور مختلفة منها التحف المعدنية من البرونز والذهب والفضة والنحاس، والتحف الخشبية كالأبواب والكراسى والصناديق، كذلك الرخامية والحجرية، كمايضم الدير مكتبة الأيقونات وبها العديدمن الأيقونات الأثرية النادرة منها ما هو مهدى إلى الدير والآخر مرسوم على الجدران .

وتعبر جميعها عن السيدة العذراء والسيد المسيح وحكايات الشهداء خاصة القديسة كاترين، وهى قديسة قبطية من الإسكندرية من عائلة وثنية آمنت بالمسيح نتيجة رؤية إلهية.

يحيط بالدير سور طوله ٨٥ متراً وارتفاعه ١١متراً، ويصل سمكه إلى مترين، وهو سمك أشبه بسمك أسوار القلاع والحصون، أمافتحات السور فقدعدلت بالتوسيع فى العصر العثمانى، وبه ثلاثة أبواب وفوق المدخل الرئيسى شمال الضلع الغربى للسور يوجد لوحان من الرخام منقوش عليهما اسم المنشئ (الإمبراطور يوستنيانوس) وتاريخ الإنشاء باليونانية والعربية .

ورغم كل العصور التى مرت على شبه الجزيرة، وكل الحضارات التى تعاقبت على منطقة الشرق ظلت سيناء طول تاريخها مصرية وجزءاً لايتجزء من حضارة وادى النيل، و كل عصر (مصرى قديم - يونانى - رومانى - قبطى - إسلامى) ترك ودائعه وبصماته تاريخياً وأثرياً بشبه جزيرة سيناء، وعلى عكس ذلك فإن الاحتلال الصهيونى ترك بصمته الخاصة فى سيناء بأن استولى على بعض آثارها، وقد عملت الدبلوماسية المصرية على استرجاعها، وهى آثار تنتمى إلى عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر العثمانى، مرورا بفترات تاريخية ذكرت فى فصل سابق .

أما الآثار التى تم استعادتها هى : محتويات لقلعة مصرية قديمة تعتبر إحدى قلاع طريق حورس الحربى القديم، ولوحة من الحجر الجيرى تمثل نصبا لجنود يونانيين، وقناع دفن لأحد الجنود من العصر اليونانى، وتمثال تراكوتا من الفخار لمحارب على جواد ومجموعة مسارج ترجع للعصر الرومانى و مجموعة من قطع الظراف من رؤوس حراب وسهام وأدوات صيد من عصر ما قبل التاريخ وكذا عملات برونزية من العصر البطلمى وحلى ذهبية من العصر الرومانى .

وما يميز سيناء، الطريق الحربى الكبير الذى شقها فى زمن ما ومازالت آثاره باقية، ثم المناجم الأثرية للفيروز والنحاس .

الطريق الحربى : وهو الطريق الساحلى الشمالى معروف منذ قبل عصر الأسرات

المصرية القديمة، ثم أضيف إليه الطريق الأوسط من رأس خليج السويس ماراً بمدينة نخل، ثم يصل إلى رأس خليج العقبة، فعلى هذين الطريقين تنتشر القلاع والحصون والمدن القديمة التى لا تزال آثارها باقية .

أما استغلال مناجم النحاس فى سيناء، فقد بدأ قبل ظهور الأسرة المصرية الأولى بمئات السنين، حيث عرف المصريون القدماء هذا المعدن منذ حضارة البدارى وكانوا يصنعون منه بعض أدواتهم البسيطة وحليهم

اتصلت مصر بالشاطىء السورى منذ أقدم العصور، وجلب المصريون القدماء أخشاب الأرز التى تنمو على جبل لبنان منذ عهد الأسرة الفرعونية الأولى على الأقل، حيث استخدموها فى صناعة الأسطول المصرى، و كان الطريق إلى تلك البلاد بريا يبدأ من حصن سيلا قرب بلدة القنطرة شرق الحالية، ثم يسير بعد ذلك متجها إلى شمال سيناء، ويستمر محاذياً للشاطىء ثم يصل العريش ومنها إلى رفح ثم غزة .

هذا الطريق – طريق حورس – كان وما زال من أهم الطرق الحربية على مر العصور ولذلك شيدت عليه الكثير من الحصون المصرية خاصة فى المناطق الاستراتيجية الهامة لتكون مراكز لجنود حراسة الطريق ومخازن الجيوش .

ويوجد من عهد الملك سيتى الأول من ملوك الأسرة التاسعة عشرة (١٣١٥ ق . م) وثيقة هامة منقوشة على أحد جدران معبد الكرنك فيها وصف تفصيلى لطريق حورس وصور للقلاع على هذا الطريق وعددها ١٢ قلعة . . وقد حددت بداية الطريق عند القنطرة شرق (تل حبوة) حيث تم الكشف عن أكبر موقع مصرى قديم فى شمال سيناء والذى عرف فى المصادر المصرية باسم قلعة (ثارو(وهى المنطقة التى خرجت منها الجيوش لتأمين حدود مصر الشرقية بداية من عصر تحتمس الثالث .

ثم يتجه الطريق شمالاً على مقربة من تل الحير وتل الحدوة (مجدول) ثم بئر رمانة (قرب المحمدية) ثم يتجه إلى منطقة) قطية (ومنها إلى العريش ماراً بسبخة البردويل.. وبئر مزار قرب الفلوسيات ثم العريش ومنها إلى الشيخ زويد ثم رفح .

وقد ارتبطت بداية هذا الطريق بوجود فرع نهر النيل (الفرع البيلوزى القديم) حيث يتضمن النقش الموجود على معبد الكرنك صورة حصن على ضفتى قناة تمرح فيها التماسيح وتنمو على ضفتيها الأعشاب .

الآثار المصرية القديمة:

تل الفرما يقع شمال قرية بالوظة على طريق القنطرة – العريش عند مكان مصب الفرع البيلوزى القديم لنهر النيل، وتسمى أحياناً الفرما وهو الاسم العربى للبلدة التى

عرفت قديماً باسم بيلوزيوم .. وكانت أهم حصون الدفاع عن الدلتا من ناحية الشرق . وقد وقعت عندها معارك عديدة من أهمها المعركة التى وقعت بين جيوش المسلمين بقيادة عمرو بن العاصى وجيش الرومان فى عام ٦٤٠م ويدل تاريخ المدينة على معرفة المصريين القدماء لها واليونانيون الذين نسبوا إليها اسم فرع النيل البيلوزى، وعرفها الأقباط باسم فرومى، ومنهم أخذ العرب اسم الفرما ... وقيل إنها مسقط رأس بطلميوس الفلكى الشهير .

عين القديرات

تقع فى واد خصيب يروى بواسطة عين القديرات بقرية القسيمة التابعة لمركز الحسنة بشمال سيناء، وتعكس الآثار المكتشفة أهمية هذه المنطقة ودورها المركزى فى العصور المصرية المبكرة .. حيث أنشئ بها العديد من الحصون بقى منها : القلعة الوسطى، وهى ذات حوائط قوية وأبراج وخنادق . وهى مستطيلة الشكل ٦٠ متراً فى ٤٠ متراً وجدران خارجية بسمك ٤ أمتار وحولها ٨ أبراج .

المغارة

سيناء هى أقدم المناطق التى استغل فيها المصريون القدماء خامات النحاس والفيروز منذ ما قبل عصر الأسرات الفرعونية بوقت طويل، وأهم موقعين من مواقع التعدين القديمة هما : المغارة بالشمال وسرابيط الخادم .

يطلق اسم المغارة على جزء محدود من وادى قنية بشمال سيناء، حيث يوجد الجبل الذى توجد فيه عروق الفيروز التى استخرجها المصريون القدماء . ومازالت توجد فى هذه المنطقة بقايا أكواخ العمال القدماء فوق أحد المرتفعات .. ويمكن تتبع جدرانها ولكن النقوش الهامة التى كانت قائمة لم تعد باقية هناك حيث نقل بعضها إلى المتحف المصرى بالقاهرة .. أو تحطم فى محاولات البحث عن الفيروز فى بداية القرن الحالى .

سرابيط الخادم

كانت منطقة سرابيط الخادم خلال الدولة الوسطى والدولة الحديثة أهم من المغارة .. وموقعها مختلف فالوصول إلى المغارة سهل والمناجم فى واد منبسط وعروق الفيروز ترتفع ٦٠ متراً عن مستوى بطن الوادى، أما سرابيط الخادم فإن طريقها بالغ الوعورة .. وهى فوق هضبة الصعود إليها صعب من جميع الجهات .. الآثار الموجودة بها وكذلك المناجم توجد فوق السطح المنبسط لتلك الهضبة العالية . وقد عثر فى هذه المنطقة على تماثيل عديدة تحمل أسماء الملك سنفرو من الأسرة الرابعة .. والملك منتوحتب الثالث والملك منتوحتب الرابع من ملوك الأسرة الحادية عشرة ونقش لكل من سنوسرت الأول واسم أبيه

أمنحمات الأول . أما أشهر الآثار فى تلك المنطقة فهو معبد حتحور والنقوش السينائية الأخرى .

. **معبد حتحور**

وقد أقامه الملك سنوسرت الأول لعبادة الإلهة حتحور سيدة الفيروز ثم شهد المعبد إضافات بعصور تالية عديدة حيث بدأ المعبد بكهف حتحور المنحوت فى الجبل وهو قدس أقداس المعبد .. ثم شيدت أمامه حجرة أخرى تكريساً لحتحور ثم أضاف أمنمحات الثانى جزءاً لهذا البناء ثم ترددت أسماء العديد من الملوك الآخرين فى المعبد مثل أمنمحات الثالث والرابع .

وفى عهد الدولة الحديثة قام الملك أمنحتب الأول بإصلاح ما تهدم من الهيكل والبهو المحمول على الأعمدة، كما شيد هيكل حنفية حتحور الذى كان معداً لتطهير زوار المعبد وفى عهد تحتمس الثالث وحتشبسوت أضيفت عدة قاعات أمام قدس الأقداس .. ثم عدة قاعات تالية فى عهد ابنه أمنحتب الثانى .. وشيدت ست حجرات فى عهد أمنحتب الثالث.

والنقوش التى على هذه اللوحات وواجهات الصخر تحتوى على الابتهالات المعتادة للآلهة .. ويبلغ مجموع النقوش التى عثر عليها فى سرابيط الخادم ٣٨٧ نقشاً من الدولتين الوسطى والحديثة .. وهى لا تشمل نقوش المعبد بالطبع حيث كانت بعثات المناجم ترسل برئاسة موظف كبير لأن المناجم من أملاك الملك . فكانت النقوش تذكر اسم الملك ورئيس البعثة وكبار موظفيه

الآثار اليونانية الرومانية:

منطقة الخوينات والفلوسيات

وتضم الخوينات آثار مجموعة مبان متلاصقة وعثر بها على عدد من شواهد القبور عليها كتابات باللغة اليونانية القديمة وعلى شكل آدمى .

أما الفلوسيات، فتضم مجموعة من الكنائس ترجع إلى القرن الخامس الميلادى .. وقد ذكرها الجغرافيون الرومان باسم استراسينى .

وتحتل الفلوسيات (تل الفلوسية) موقعا استراتيجياً هاماً .. حيث كانت مكان التقاء الشاطىء الذى يربطها بالفرما والطريق الحربى .. ولم يبق بها من الحصون إلا بقايا حصن الإمبراطور جوستنيان الذى أقيم فى القرن السادس الميلادى ناحية الشرق خوفاً من الفرس.. وقد أطلق عليها البدو اسمها الحالى لكثرة ما عثروا فيها على نقود رومانية .

كثيب القلس

هو موقع قديم على شاطىء البحر المتوسط شمال بحيرة البرد ويل وقد ذكرها بطلميوس تحت اسم كاسيوم . . عثر بها على عدد من الأحجار عليها نقوش يونانية وشواهد لمبان أثرية من العصر الرومانى.

تل قاطية

يقع عند قرية قاطية بشمال سيناء وينتشر على سطحه بقايا المبانى الأثرية من العصرين الإسلامى واليونانى - الرومانى، وقاطية بلدة معروفة كثيرة النخل ذكرت فى كتابات الرحالة المسلمين كثيراً .. وبها بئر ماء رممه إبراهيم باشا ابن محمد على حاكم مصر فى بداية القرن التاسع عشر .. ثم رممه الخديوى عباس عند زيارته للعريش وتضم آثار قاطية مسجداً من العصر العثمانى ومنطقة صناعية وسوق المدينة.

تل المحمديات

يقع شمال شرق قرية رمانة على طريق القنطرة - العريش، به بقايا مبان أثرية ترجع إلى العصر اليونانى الرومانى حيث كان اسمها فى ذلك العصر (جرها) وفيها حصن كبير من ذلك العصر يقع على ربوة عالية قريبة من الشاطىء . وهو عبارة عن قلعة أسوارها من الأحجار الكلسية البحرية وذات أبراج مستطيلة ومربعة وبها بعض المساكن من الطوب اللبن . وهى من أهم المواقع الأثرية بمنطقة ساحل بحيرة البردويل .

وادى غرندل :

تقع هذه المنطقة على طريق السويس - الطور الرئيسى، وعثر بها على آثار من العصر الرومانى لمبان من الطوب اللبن، وأفران ومخازن وعدد كبير من القطع الفخارية والعملات البرونزية والقطع الزجاجية . والمنطقة بها بئر من العصر الرومانى .

القلاع والحصون

العريش والشيخ زويد ورفح، آخر ثلاث نقاط على الطريق الحربى، أما العريش فهى مدينة مشهورة عند قمة وادى العريش، وكانت منذ أقدم العصور ميناء مصرياً هاماً ومركزاً استراتيجيا على طريق حورس، وأحد المراكز الرئيسية للجيش المصرى خلال عصر الدولة المصرية الحديثة، وأهم ما بها الآن قلعة العريش التى اعتمد عليه الأتراك فى حروبهم وقد بقى منها الآن سور مربع ارتفاعه نحو ٨ أمتار وطول ضلعيه الشمالى والجنوبى ٨٥ متراً والشرقى والغربى ٧٥ متراً .. وفى أعلى السور ستة مزاغل لضرب النار، وفى كل برج قبو لخزن القنابل، وفوق باب القلعة نقشت بعض العبارات باللغة العربية مثل (وما النصر الا من عند الله)، وعبارة (أمر بإنشاء هذه القلعة مولانا السلطان

سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بازيد ابن السلطان عثمان خلد الله ملكه وقوى شوكته وأعز دولته.

أما تل الشيخ زويد فيقع شمال مدينة الشيخ زويد الحالية، وتنتشر عليه شواهد أثرية واضحة حيث عثر فيها على آثار مصرية من الدولة الحديثة وبقايا كنيسة من العصر المسيحى ثم رفح وهى نقطة هامة على الحدود بين مصر وفلسطين، تردد ذكرها كثيراً فى نصوص الدولة الحديثة ولكن لم يبق من آثارها إلا بقايا من أحجار كنيسة مسيحية من القرن السابع الميلادى .

تــل حبـــوة

يقع شمال شرق مدينة القنطرة شرق، ومن أهم الآثار المكتشفة به قلعة مصرية من عصر الدولة الحديثة (الملك سيتى الأول) وهى مبنية من الطوب اللبن، وبها عدد من الأبراج وتشبه مدينة محصنة، حيث كشف حولها عن مخازن ومنازل ومئات القطع الأثرية والأختام بأسماء ملوك مصر تحتمس الثالث ورمسيس الثانى وغيرهم .

تل أبو صيفى

يقع جنوب مدينة القنطرة شرق .. ويشار إلى أنه كان موقع الحصن الرومانى(سيلا) وتم اكتشاف قلعة بطلمية وأخرى رومانية بها . . وسميت هذه المنطقة باسم التل الأحمر نظراً للون القرميد الأحمر الذى يميز بقايا مبانيها وأحجارها الأثرية . وتوجد بها بقايا هيكل من بناء سيتى الأول ورمسيس الثانى للإله حورس وبقايا معسكر رومانى به كتابات لاتينية للإمبراطورين ديومكيشيان ومكسيميان . . وفى عام ١٩٠٧ عثر على حجر عليه نص هيروغليفى وحجر طحن كبير .. كما عثر قرب القنطرة شرق على حجر من الصوان الأحمر ملىء بالكتابة الهيروغليفية . كما عثر فى عام ١٩١١ على بقايا جبانة قديمة بداخلها توابيت من الحجر عليها كتابات هيروغليفية.

قلاع الطريق الأوسط

إلى جانب الطريق الرئيسى الموازى للساحل الشمالى فى سيناء فقد عرف طريق آخر يبدأ من رأس خليج السويس مباشرة إلى رأس خليج العقبة .. ماراً بوسط سيناء .. وهو المعروف باسم درب الحج، حيث كان طريق الحجاج من مصر وشمال أفريقيا إلى مكة والمدينة المنورة . ولكن آثار هذا الطريق تدل على أنه أيضاً كان ذا أهمية عسكرية بالنظر إلى عدد من القلاع الكبرى التى تقع عليه أو بالقرب منه وأهمها : قلعة الجندى قرب سدر وقلعة السلطان الغورى عند نخل وقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون عند طابا.

قلعـــة الجنـــدى

تقع هذه القلعة على تل رأس الجندى الذى يصل ارتفاعه إلى ٢١٥٠ قدماً فوق سطح البحر .. ويرتفع ٥٠٠ قدم فوق السهل المنبسط المتسع حوله من كل الجهات . . والتل له شكل فريد، وموقع حاكم يجعلانه هيئة طبيعية ظاهرة بالعين المجردة من على بعد عدة كيلو مترات ومن يقف فوقه يكشف بالطبع أبعد من هذه المسافة.

ويرتبط بناء هذه القلعة بوقائع تاريخية .. فبعد أن استطا ع صلاح الدين وشقيقه الملك العادل من إحباط حملة خطيرة قام بها أمير الكرك ريجنالد دى شايتلون على نقاط على البحر الأحمر وخليج العقبة سعياً للقفز إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أدرك صلاح الدين أهمية وجود عسكرى قوى وسط تجمعات البدو لضمان ولائهم من جانب وكحصن وسيط بين القاهرة وبين المواقع المتقدمة لدفاعات جيوش صلاح الدين .. فبدأ فى تشييد هذه القلعة فى عام ١١٨٣ م وتم البناء عام ١١٨٧ وهو المقابل للتاريخ الهجرى المنقوش حتى الآن على باب القلعة . تخطيط القلعة : مبنى قلعة صلاح الدين فوق تل الجندى مستطيل الشكل يتجه فى اتجاهين شمال بشرق وجنوب بغرب، وطرفها الجنوبى ينتهى بشكل نصف مسدس الأضلاع .. ويتراوح ضلع القلعة ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ متر طولاً، وأوسع عرض لها يبلغ مائه متر .. وسمك سور القلعة الخارجي يبلغ مترين أما أركانها فقد قويت بدعامات قوية .. وقد ضمت القلعة فى داخلها غرفاً صغيرة لرجال الحامية وشيدت فى فنائها عدة مبان لأغراض مختلفة منها ردهة مسطحه (٥٠ فى ٦٠ متراً) عمقها خمسة أمتار تحت مستوى الأرض وربما كانت مخزنا للمؤن .. وكذلك مسجد بدون سقف جداره الشرقى به قبلة عليها كتابة منقوشة للبسملة ومسطح المسجد (٦ فى ١٢ متراً) .. ويوجد كذلك صهريج مياه منحوت فى قلب التل يحتوى على خزان أبعاده (٦ فى ١٠ فى ٥,٥ مترات) .. مازالت جدرانه جيدة وله فتحتان لإدخال وسحب المياه .

قلعة نـخـــل

وتقع على هضبة عالية بمدينة نخل قرب الطريق الدولى بوسط سيناء . وقام ببنائها السلطان المملوكى قنصوه الغورى عام ١٥١٦ قبل هزيمته على يد الأتراك العثمانيين ببضعة شهور . والقلعة عبارة عن بناء مربع الشكل وبها خمسة أبراج وبنيت من الحجر المنحوت . وقد قام السلطان مراد الثالث العثمانى بترميمها عام ١٥٩٤ ونقش على بوابتها الرئيسية عبارة " مولانا السلطان مراد خان عز نصره" وتتميز قلعة نخل بموقعها الاستراتيجى على المناطق المحيطة من كل الاتجاهات .

قلعة صلاح الدين

تمثل قلعة صلاح الدين الأيوبى على جزيرة باسم فرعون فى سيناء قيمة تاريخية وأثرية كبيرة، حيث لعبت هذه القلعة الشامخة دور الحارس الأمين للشواطىء العربية فى مصر والحجاز والأردن وفلسطين على حد سواء، وأسهمت فى درء الأخطار العسكرية أثناء الصراع الصليبى - العربى، حيث كانت مصر الإسلامية تمثل الدرع الواقى للعالم العربى والإسلامى أثناء ذلك الصراع . وقد بنيت هذه القلعة فوق هذه الجزيرة على بعد نحو ٦٠ كيلو متراً من مدينة نويبع .. وعلى بعد نحو ٨ كيلو متر جنوب طابا لتكون قاعدة متقدمة لتأمين خليج العقبة من أية غزوة صليبية .

وقد كشفت الحفائر الأثرية أن هذه الجزيرة قد استخدمت لأغراض عسكرية فى عصور قديمة عربياً، ولكن المبانى الباقية الآن فيها تعود إلى العصر الأيوبى عندما أمر صلاح الدين الأيوبى ببنائها عام ١١٧٠ م لتكون أحدى القلاع الهامة فى صراعه مع الصليبيين. وتضم قلعة صلاح الدين مجموعتين من التحصينات : شمالية وجنوبية . كل منهما عبارة عن قلعة مستقلة وذلك عبر الاستفادة من تضاريس الجزيرة بشكل مثالى بحيث تم بناء القلعتين على تلين، الشمالى فيهما أكبر حجماً وأكثر تفصيلاً، أما السهل الأوسط المحصور بينهما فقد أقيمت فيه المخازن والمسجد والغرف . ويحيط بالقلعتين والسهل الأوسط سور خارجي مواز لشاطىء الخليج فى ضلعه الشرقى والغربى به ستة أبراج تطل مباشرة على مياه الخليج . أما التحصينات الشمالية فإنها ترتفع وتتخللها الأبراج عند النهايات العليا للتل الشمالى . وتوجد بالأبراج التسعة فتحات لرمى السهام فى ثلاثة اتجاهات . أما الأسوار السميكة فإنها تحتوى على طرقات كانت تستخدم لوقوف الجنود خلفها لرمى السهام .

وقد استطاعت هذه القلعة فى العصرين المملوكى والعثمانى من حماية الطرق التجارية والسيطرة على البحر الأحمر، وحماية خليج العقبة وبلاد الحجاز من الوقوع تحت سيطرة الأعداء.

وهناك قلعة أخرى فى سيناء تحمل اسم صلاح الدين، وتوجد فى سدر، وقد بدأ تشييدها عام ١١٨٢م وتم بناؤها عام ١١٨٧م، وتقع على مسافة ٢٠ كم من طريق الحج القديم: السويس - نخل - العقبة

قلعــة نويبــع

وتعرف بطابية نويبع، وهى عبارة عن طابية صغيرة قامت ببنائها السردارية المصرية فى عام ١٨٩٣م وجعلتها مركزاً للشرطة من الهجانة لحفظ الأمن فى تلك المنطقة . وللقلعة

سور ومزاغل وباب كبير .. وداخل السور بئر ماء .. وكانت توجد بجانبها بضعة ألواح من الحجر يسكنها عائلات الشرطة .. وتقع على بعد ميلين من معبد وادى العين شمالاً وهى المنطقة التى تسمى حالياً نوبيع الترابين.

كلمة قبل الخروج

وإذا كانت الحفائر اكتشفت أثاراً تعود لعصر المصريين القدماء، فمن الغريب أن تلك الحفائر نفسها لم تجد أثرا واحداً على وجود اليهود بسيناء وإقامتهم فيها أو أى اثر لمملكة (يهوذا الكبرى) .. وقد اجتهد الأثريون بتكليف من سلطات الاحتلال فى البحث فى الفترة من ١٩٦٧ فور احتلال سيناء حتى عام ١٩٨٢، ولكن لم يتم العثور على أى شىء يساعد اليهود فى دعاواهم .

هوامش

* اعتمدت فى هذا الفصل على مراجع ونشرات غير دورية وتقارير أثرية صادرة من :
* الهيئة العامة للاستعلامات
* هيئة آثار شمال سيناء
* مراكز المعلومات بالمحافظة
* هيئة تنشيط السياحة

الفصل الخامس

القبائل والعائلات

تمهيد :

البدوى فى ممارسته للحياة يرتكز على أساس الاستفادة من الإنتاج الطبيعى. لذا فإن الحرف السائدة عند البدو هى حرف تقليدية متوارثة ويعتبر الرعى و التجارة من العوامل الرئيسية العامة التى تحدد ملامح اقتصاديات المجتمعات البدوية من قديم الزمان، مع الاعتماد التام على مياه الآبار، والعيون التى تعتبر مصدر دخل لقبائل تحمى مصادر المياه، وتعمل على تزويد المسافرين باحتياجاتهم

ومنذ القدم توزن قوة القبيلة أو العشيرة بحجم القطعان وقوه فرسانها الذين تصدوا للمغيرين من القبائل الأخرى، الذين استهدفوا الاستيلاء على القطعان والأموال وسبى النساء .

إن حركة البداوة والقوافل التجارية فى صحراء قاحلة، أوجدت الحاجة إلى الحماية الدائمة لذا كان الاهتمام بالفرسان، وتجمع عشائر ضعيفة معا، أو انضمام عشيرة ضعيفة إلى قبيلة قوية وقد أوجد كل ذلك عادة الكرم والشهامة وحسن الجوار والأخوة..

إن تلك العوامل الاقتصادية القديمة تبدلت الآن، وليست على بساطتها المعهودة بفضل التطور والتحديث المستمر وإيجاد مصادر دخل جديدة متنوعة . مثل الزراعة والصناعة والتعدين واستخراج البترول والعمل فى الإرشاد السياحى والدينى .

لكن المظاهر الاقتصادية القديمة هى التى تلقى الضوء فعلا على ذلك الكم الهائل

من العادات والتقاليد، تجمعت كلها من خلال الجهد البشرى المستمر فى تراث ثقافى سوف نناقشه فى فصل لاحق، كما أن تلك المظاهر تفسر وجود عشائر عديدة مختلفة ضمن قبيلة واحدة من أجل القوة والحماية، مثل انضمام فرع من قبيلة بنى عقبة إلى التياها وفى الأصل فإن قبيلة بنى عقبة كانت من أقوى القبائل فى الجزيرة العربية وكانت تملك القدرة على حماية أرواح الحجاج وممتلكاتهم، لكن اقتتال بطونهم أضعفهم، ثم نزحت عشيرة منها إلى فلسطين وبعدها صاهرت التياها .

وظيفة وأهمية النسب :

افتخر العرب طول تاريخهم بالنسب، وفى الجاهلية الافتخار بالنسب كان على أساس من الجنس والقبيلة، وبعد الإسلام استند الافتخار إلى وجاهة على أساس من الدين، وكل من انتسب إلى البيت لقب بالشريف، لقد دل ذلك على تغير، لكن تم تحريفه بشكل مأساوى ومدمر مما أدى إلى صراع تاريخى مثل الصراع بين الأمويين والعباسيين .. وامتد هذا الصراع إلى عصرنا الحاضر، ليظهر فى أشكال مختلفة :

مثل الصراع بين الدولة الملكية (النسب على أساس من الجنس والقبيلة)

وبين الدولة الإسلامية (النسب على أساس من الدين)

وصراعات أخرى بداخل الدولة الواحدة عبر تيارات مختلفة .

فالافتخار بالنسب على أساس من الدين لم يقتلع الافتخار على أساس من الجنس والقبيلة حتى فى صدر الإسلام .. فشاعر عربى صحابى هو عمرو بن مرة يقول :

(يا أيها الداعى ادعنا وأبشر وكن قضاعيـــــاً ولا تنـــزر نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمــــــير النسب المعروف غير المنكر فى الحجر المنقوش تحت المنبر)

إن الافتخار بالنسب هو أساسا مسألة وجاهة اجتماعية، لكن النسب قديما كان يعتمد عليه أيضا فى الحماية، فقد يصادف بدوى فى الصحراء جماعة معادية، وبإعلان نسبه قد يتركونه بسبب صلة القرب أو الخوف من ثأر قبيلته القوية، أو وجود صلح معها أو يأسرونه من أجل فدية أو يقتلونه بسبب عداوة سابقة بين القبيلتين .. ولذا فإن المقابلة فى الصحراء المترامية الأطراف تبدأ بالسؤال (من أى العرب أنتم ؟) ولا تبدأ بسؤال عن اسم الفرد .

وجاء الإسلام فوضع قيما لمعنى النسب فقال تعالى :

(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)

وقال صلى الله عليه وسلم (تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم)

وقد تم وضع علم خاص للنسب، ترتب عليها أحكام شرعيه، كحكم الورثة والوقف ومعرفه الأرحام وكشف الأدعياء مما انتسبوا إلى غير أصلهم، وجاء فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " تنكح المرأة لأربع " : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك) ورغم أن صلى الله عليه وسلم أوصى بذات الدين فإنه جاء بذكر الحسب لأهميته .

ونوضح فيما يلى أسماء قبائل سيناء ومناطقها المعروفة و أصولها وأنسابها ولبعض القبائل امتداد فى مناطق أخرى كما سنذكر .

قبائل شمال سيناء

١ـ قبيلة السواركة ـ الرميلات ـ البياضية ـ بلى ـ المساعيد –الأخارسة ـ قبيلة السماعنة ـ القطاطوة ـ العقايلة ـ الدواغرة ـ العلوية – الرياشات ـ الملالحة ـ العيايدة ـ السعديين ـ العكور ـ الجبالية ـ عشائر الصقور والحجوج والخدايجة ـ عشيرة بنى عجلان – عشيرة اللفيتات

قبائل وسط سيناء

ـ التياها – الترابين ـ الحويطات ـ البدارة ـ ألأحيوات ـ العزازمة ـ العلاوين عشيرة الفراعية ـ عشيرة الجراجرة ـ عشيرة الفوايدة ـ عشيرة العرينات .

قبائل جنوب سيناء

ـ قبيلة أولاد سعيد ـ العليقات ـ الصوالحة – القرارشة ـ مزينة ـ النفيعات ـ الجبالية ـ الحماضة ـ بنى واصل ـ بنى سليمان ـ التبنة ـ المواطرة (راجع خريطة توزيع القبائل مع الملاحق) ويلاحظ منها امتداد القبائل عبر الحدود إلى جنوب فلسطين والأردن وشمال السعودية، كما عبرت قناة السويس إلى ساحل البحر الأحمر والشرقية .

وفيما يلى إيراد موجز لأصول وأنساب لبعض القبائل والعشائر:

الأصول والأنساب :

قبيلة السواركة

من أكبر قبائل سيناء وتسكن ضواحى العريش، وتمتد حتى الشيخ زويد ويقول الإخباريون إن أصل السواركة يعود إلى العدنانية وهم من ذرية الصحابى الجليل " عكاشة بن محصن بن حرثان من بنى غانم أحد بطون بنى أشد العدنانية، وقد نال الشهادة أثناء حروب الردة عام ١٣ هجرية وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

وتتألف من ١٣ عشيرة :

العيايطة أو عيطة / العرارات / الجراوين/الدهيمات/ المنصوريين / الزيود/ المقاطعة

/ الخلفات / السلاميين/ الغيتات / الجبالية /الرياشات /الجريرات .

قبيلة المساعيد

خارج مدينة العريش يوجد حى المساعيد، وتختلف المصادر حول سبب تسمية الاسم، تشير بعض المصادر أن منطقة المساعيد فى بلاد العريش حملت هذا الاسم منذ عهد عمرو بن العاص فاتح مصر الذى سار بجيشه نحو مصر لفتحها وعندما وصل العريش ويقال إن ذلك كان فى مساء عيد الأضحى فقال هذا (المساء عيد) فتحرفت إلى المساعيد..

مصادر أخرى تذكر أن المنطقة نسبت إلى قبيلة المساعيد بعد تشتتهم نتيجة مذبحة فى غزة وخرج بعضهم متجها إلى العريش حيث استقر بعضهم فى منطقة سميت بهذا الاسم، بينما تابع الآخرون سيرهم، والأرجح أن المصادر التى نسبت الاسم إلى قبيلة المساعيد هى أقرب إلى الصحة، لأنها ذكرت باكتشاف بئر عن طريق امرأتين عرفت فيما بعد باسم المسعوديات أو بئر المساعيد وقد ذكره نعوم بك شقير فى كتابه (تاريخ سيناء) مشيرا بأنه قرب الشاطىء، كما ذكر بوجود بئر آخر على بعد مائة متر من الأولى .

وهناك اتفاق عام بين شيوخ القبيلة بنسبتها إلى الأمير هانى بن مسعود الشيبانى من بكر بن وائل من ربيعة العدنانية من شرق نجد وجنوب غرب العراق .

البياضية والأخارسة

يرجع نسبتهما إلى طىء بن ادد بن زيد يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

ومسكن القبيلتين مركز بئر العبد بشمال سيناء .

ويسكن البياضية والأخارسة خارج سيناء فى محافظة الشرقية .

أهم عشائر البياضية : المرازقة، والأبايضة، والربايعة، والهروش، والموالكة، والحفيشات، والعوايصة، والزوايدة، والكريمات، والتواتبة، واليمانية، والدراهمة.

وأهم عشائر الأخارسة :الزغاونة، والعسوية، والعطالات، والزوايدة، والرضاونة، والمناسوة، والعطيات، والخوالدة، وبنى عبد، والفطاوية، والشوابكة.

قبيلة الرميلات

من أكبر القبائل فى سيناء، ويؤكد الإخباريون أن الرميلات من القطيفات مسكنهم قديما بلدة القطيف بالإحساء شرق المملكة العربية السعودية، ثم رحلوا إلى الشام ومنها إلى غزة وخان يونس و بسبب حروب نشبت بينهم وبين قبيلة الترابين ارتحلوا إلى سيناء حيث استقروا فى رفح، وانضموا إلى السواركة بالأخوة (حلفاً) وصاروا معهم قبيلة

واحدة، وتذكر بعض المصادر أن الرميلات والقطيفات بطنان أصولهما من ربيعة العدنانية، وتملك الرميلات فى سيناء مساحات كبيرة من الأراضى، وتتألف من ١١ عشيرة :

الحسينات – العبابدة –العجالية –العوابدة – السلايين – الشيوخ –الشريطيين – الجراوات – المعاتقة – الخرافيين –الشلالفة .

قبيلة العقايلة

وهم من بطن من ثعلبة من طيء القحطانية نزلوا إلى سيناء ومصر فى عهد الدولة الأيوبية يسكنون بسيناء فى منطقة قاطية ولهم امتداد فى فاقوس ومن أشهر عشائرها:

الكليبات، والنجاتية.

قبيلة الدواغرة

من عرب مُطير، وتسكن هذه القبيلة منطقة الزُّقبة بشمال سيناء .

قبيلة السماعنة

السماعنة من بطون جُذام، ويقال إن السماعنة من مهدى دخلوا فى بنى طريف من جُذام، وعن أصل مهدى فإنه من بنى عُذْرة من قُضَاعة من حمْير القحطانية من عرب اليمن.

وهم من أقدم البدو الذين توطنوا فى شمال سيناء ومساكنهم فى منطقة قطين وليس لها عشائر لكن بعض الأسر منها تقيم فى مدينة فاقوس بالشرقية .

قبيلة العيايدة

نسبهم إلى قبيلة قحطان من كبرى قبائل المملكة العربية السعودية، وإن أجدادهم المؤسسين ثلاثة أخوة هم "جربوع" ومنه بطن الجرابعة، و"سلطان" ومنه بطن السلاطنة، و"جوعل" ومنه بطن الجواعلة، وانتسبوا جميعا إلى "سعود بن عياد" ويرجع اسم القبيلة إليه وقد انتشرت القبيلة فى مصر بسيناء والجيزة والبحيرة .

قبيلة الرياشات

تنسب القبيلة إلى "عطية الرياشى" واشتهر بـ "عطية القناص وقد تزوج من عائلة "أبى الكأس " وتنسب إلى أشراف الحجاز "، عاش فى غزة ومنها اتجه إلى شمال سيناء ثم عاد إلى الأردن تاركا ولده محمد مع أمه وقد تزوج ولده محمد وأنجب ثلاثة أبناء هم على وعبد السلام وعمار.

يقول الرواة إن "عمار" اتجه إلى مطروح بمصر وانحدرت منه عائلة الرياشات

لكن أشهر قبائل الرياشات هم قبيلة شمال سيناء بالشيخ زويد وتتكون من أربع عشائر هم: الزراعوة – الهشوش– والجراوين– والطويلة.

قبيلة بلِّى

يرجع نسب القبيلة إلى ابن عمرو بن الحافى بن قُضَاعة وتعتبر من أقدم قبائل سيناء ومساكنها منطقة المزار والريسان وينتشرون شمال غرب المملكة العربية السعودية . ومن عشائرها: المطارقة، والمقابلة، وأولاد الفاطر، والشلبين، والعتابلة، والدهاتمة. ولها امتداد فى محافظة القليوبية داخل مصر كما لها امتداد بالحجاز والأردن .

قبيلة الحويطات

الحويطات هم من الجمامزة من الأشراف بنى الحسين الذين هاجروا من المدينة المنورة إلى بادية الشام واستوطنوا حول العقبة وفيما يلى نورد عمود النسب :

حويط بن جماز بن هاشم بن سالم بن مهنا بن داود بن مهنا بن جماز بن قاسم بن مهنا الأعرج بن الحسين بن المهنا بن داود أبو هاشِم بن القاسم أحمد بن عبيد الله أبو على الأمير بن طاهر شيخ الحجاز بن يحى النسابة بن الحسن أبو محمد جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام على بن أبى طالب .

أبناء حويط هم :– عمران / علوان / سويعد

منازل وديار قبيلة الحويطات

تقع منازل الحويطات بصفة عامة بين تيماء شمال نجد (جنوبا) وحتى الكرك (شمالا) ووادى السرحان والنفوذ الكبرى(شرقا) وساحل خليج العقبة وشبة جزيرة سيناء (غرباً). تبدأ ديار الحويطات على ساحل البحر الأحمر ممتدة إلى الداخل حتى جبال السروات حيث تقع إلى الشرق من ديار بنى عطية وتنتشر عشائر الحويطات على ساحل خليج العقبة من مدينة حقل وتمتد حتى الجنوب على شاطئ البحر الأحمر حتى مدينة الوجة. وتقع منازل الحويطات فى المملكة الأردنية من جنوب قصر مشاش وجنوبى الكرك من غربة(شمالاً) وحتى المدورة (جنوبا) مارة بجنوب البحر الميت وفى فلسطين تسكن الحويطات فى الوقت الحاضر بقضاء طولكرم والخليل وبيت فجا وتسكن الحويطات فى مصر فى السويس والإسماعلية وفى الشرقية وفى القليوبية وحلوان وحول القاهرة فى البساتين وعين شمس وعزبة النخيل .

عشائر الحويطات فى مصر

الفحامين، الموسة، الكريمات، العمران، القرعان، لطقيقات، الرقابية، الذيابين، المشاهير، الجواهرة، القبيضات، الشوامين، العبيات، العميرات، السلالة، الصريعيين، الغنامين، السليميين .

قبيلة اللحيوات

ومعظم أملاك القبيلة فى سيناء، وتمتد منازلهم الى القسم الجنوبى من وادى العربة المتاخم للعقبة. ويقال لهم (الأحيوات) نسبة الى (الحوى) الذى قيل إنهم أول من أكله فى سيناء فسموا به والحوى: نبت ربيعى يأكله البدو زهراً وورقاً:

ومن عشائرهم التى تسكن فلسطين: الخلايفة.

قبيلة التياها

تفيد المصادر أنهم من بنى هلال وجد التياها هو ظعن سليمان العنود الذى تخلف عن بنى هلال بسيناء فى أواخر القرن الرابع الهجرى ونسب أولاده إلى هضبة التية التى تقع بوسط سيناء حيث موقعهم مع امتداد بين قضاء الخليل والبحر الميت .

قبيلة الترابين

أصلهم يعود إلى البقوم من الأزد القحطانية ونسب البقوم هم بنو عامر وهو البقم بن حوالة بن الهنوء بن الأزد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . بطن من الأزد من القحطانية، أما اسم الترابين فيعود إلى وادى تربة، أحد وديان البقوم جنوب شرق الطائف بالمملكة العربية السعودية، تقع منازلهم الحالية بوسط سيناء وبئرالسبع، وتحيط بهم قبيلة العزازمة من الشرق، والتياها من الشمال وتتألف إداريا من عشرين عشيرة :

– نجمات الصانع. – نجمات الصوفى – نجمات أبى عادرة– نجمات أبى صوصين.

– نجمات القصار – نجمات أبى صهيبان – غوالى أبو ستة– غوالى أبى الحصين– غوالى أبى شلهوب– غوالى أبى ختلة– غوالى أبى بكرة – غوالى أبى عمرة– غوالى الزريعى– غوالى العمور– غوالى النبعات. – وحيدات الترابين– حسنات أبى معليق والعوامرة. – جراوين أبى غليون– جراوين أبى يحيى– جراوين أبى صعليك

قبيلة العليقات

تنتسب إلى عقيل بن أبى طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركةبن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن نِزار بن عدنان.

ومساكن العليقات فى أبى جفرة ووادى غرندل وأبى زنيمة ووادى فيران

ولها امتداد بالقليوبية وأسوان، عشائرها: "أولاد سلمى"، و"التليلات"، و"الحمايدة"، و"الخرَيسات".

قبيلة المزينة

تنسب إلى أوس وعثمان أبناء عمرو بن أد بن عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وسميت بالمزينة نسبة إلى أمهما مزينة بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحافى بن قضاعة .

تنتشر المزينة فى نويبع ودهب والطور وأهم عشائرها : العويصات وأولاد على والعلاونة والشذاذنة .

قبيلة الصوالحة:

أصل الصوالحة صالح بن حميد بن سليم من عرب الحجاز، ومن أولاد صالح : عارم ومنه العوارمة، وحميد ومنه الحميدات، ورضوان ومنه الرضاونة، وناصر ومنه النواصرة. وهى عشائرهم المعروفة وهم يسكنون فى وادى فيران وأبى رديس، وأبى زنيمة، والطور، ووادى السدرة. وسانت كاترين .

قبيلة أولاد سعيد :

حالف أولاد سعيد الصوالحة قديما فى بر الحجاز ونزحوا معهم إلى جنوب سيناء

أولاد سعيد من جدهم سعيد بن عيد الجهنى من جهينة القضاعية وقد نشأ سعيد عند صالح الحربى جد قبيلة الصوالحة .

ويسكن أولاد سعيد فى الطور ولهم امتداد فى القليوبية ومن عشائرهم : أولاد سعيد والزهيرات والعوامرة وأولاد سيف.

قبيلة القرارشة:

يقال إن أهلها أصولهم من قبيلة قريش، ولهذا سميت بالقرارشة، وهم يسكنون وادى فيران وأبو رديس والطور وسانت كاترين وأبو زنيمة . ومن أهم عشائرها: "أولاد تيهى"، و"النصيرات".

قبيلة الجبالية :

يقال إن أصولهم مختلطة من المصريين والروم وهم أصلا مسيحيون اعتنقوا الإسلام وعاشوا كالبدو وإن لم يكونوا منهم ويعتمدون فى معيشتهم على المعونات وأغلبها من دير سانت كاترين.

قبيلة الحماضة:

وفدوا مع الفتح الاسلامى واستقروا بسيناء ويقيمون فى وادى النصب وأم بجمة ووادى قنا ومن عشائرهم أولاد حميد والزريقات .

قبيلة البدارة:

تقطن رأس سدر. وسابقا سكنوا وسط سيناء .

بنو عقبة:

وبنو عقبة فى الأصل قبيلة عربية جذامية استوطنت شمال الجزيرة العربية وبلغ نفوذها حتى فلسطين، وقد انتقلت عشائر من بنى عقبة من الجزيرة العربية إلى مصر قديما وسكنوا سيناء والشرقية ولهم امتداد بالقناطر الخيرية والمطرية وجسر العرب والمنزلة والدقهلية والقليوبية ومرسى مطروح ويوجد بمحافظة قنا قرية باسمهم بمركز قوص ويعتبر أكبر تجمع لبنى عقبة فى مصر، وبأطراف القاهرة توجد قرية ميت عقبة وكذلك قرية عقبة بسيناء وتتألف من قريش، وصبحات، وطورة.

قبيلة بنى واصل:

يقال إنهم من "بنى عقبة" من عرب الحجاز نزحوا إلى سيناء قديما وهم قليلون انضموا إلى الصوالحة ويقيمون بالطور و الحجايجة والجوابرة ومغبش أفخاذ من بنى واصل .

قبيلة الجبارات :

ينزلون فى الشمال الشرقى من غزة، وتمتد أراضيهم إلى جوار قريتى (بربر) والفالوجة. وتتألف من ثلاث عشرة عشيرة، وهى:

عشيرة أبى جابر– ارتيمات أبى العدوس – ارتيمات الفقراء. – قلازين جبارات– حسنات بن صباح. – عمار بن عجلان– جبارات الوحيدى – سعادنة النويرى – سعادنة أبى جربيان – جبارات الدقس – سواركة بن رفيع– ولايدة – الرواوعة .

قبيلة العزازمة :

يقطنون فى جنوب قضاء بئر السبع، ومنازلهم مترامية الأطراف، فهى تمتد من بئر السبع حتى وادى العربة، وحدود سيناء .

وتتألف من عشر عشائر وهى :

– المحمديون – الصبحيون – الصبيحات. – الزربة – الفراحين – المسعوديون – العصيات. – السواخنة – المريعات – السراحين .

هوامش

لمزيد من التفاصيل حول أصول وأنساب القبائل فى الوطن العربى وسيناء يمكن مراجعة المصادر الآتية:

١- نعوم بك شقير : تاريخ سيناء - مطبعة المعارف - مصر - ١٩١٦
٢- إحسان النص : القبائل العربية -- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - القاهرة - ٢٠٠٠
٣- محمد سليمان الطيب : موسوعة القبائل العربية — دار الفكر العربى - القاهرة - ١٩٩٣

الفصل السادس

التراث الثقافى

عادات وتقاليد

قبائل البدو امتلكوا العديد من القيم الإيجابية، نبعت من بيئتهم وترسخت فيهم بحيث أصبحت جزءا من طقسهم اليومى ،واعتبرت من تقاليدهم الموروثة كالشجاعة والكرم وإعزاز الجار وحب الضيافة واحترام العرض وعزة النفس، والراحل فى الصحراء يمكنه ارتياد أى تجمع فيتم الترحيب به وتقديم الماء له والطعام، والبدو يتنافسون فى إكرامه ويتناوبون على ضيافته، وهناك مجلس خاص للضيف يجلس فيه طول فترة وجوده، يجدد تزويده بالزاد فور رحيله .

والبدو لا ينسون الجميل أبدا أو العمل الطيب بل يحفظونه ويذكرونه كما يذكرون السيئة أيضا .

وعادات وتقاليد البدو تجمعت فى تراث ثقافى ميزهم بخصوصية فريدة، أوجدت قانونهم الخاص الذى يتوضح أفضل ما يكون فى القضاء العرفى .. وهو قضاء خاص بالقبائل البدوية وله قواعده وأحكامه يصدرها أشخاص تخصص كل منهم فى نوع من الجرائم، وسوف نتناول هذا القضاء فيما سيأتى بشكل أكثر إسهابا لأهميته فى الضبط الاجتماعى .

كما تتمتع المجتمعات البدوية فى سيناء بخبرة العلاج بالأعشاب الطبية التى تنمو وتكثر بأرض سيناء، فى محميات طبيعية وغيرها، و يعتبر البدو خبراء فى معرفة فوائدها وطرق

استخداماتها، إن شهرة تلك النباتات والأعشاب البرية أدت إلى أن يقبل عليها السياح مثل "الحبج " أو الحبق، الذى له آثار إيجابية فى علاج المغص والرطوبة، والشيح الذى يخفف المغص ويطرد الميكروبات والحنظل المفيد فى علاج الروماتيزم والسموة المفيد لعلاج مرض السكر والأمراض الجلدية، و الزعتر الذى يعالج الكحة والأمراض الصدرية أما السكران فإنه مخدر طبيعى وله آثار علاجية للقلب وتقلص العضلات كما تستخدم أنواع معينة من البخور لعلاج بعض الأمراض، وتكثر فى أسواق العريش محلات بيع تلك الأعشاب كما لا تخلو الأسواق الأسبوعية منها، فضلا عن العلاج الشعبى مثل : الكى بالنار والحجامة والاستشفاء بالحرز والأحجبة التى توضع بموضع الألم، والبدو مثلهم مثل الكثير من الناس يعتقدون " بالحسد " لذا يتم رقى الأبناء بتعليق خرزة فى أعناقهم، وكذلك الحيوانات مثل الجمال والماعز، ويوم السعد عندهم هو يوم الجمعة فيتبركون ويتفاءلون به، ومعظم محلات أبناء شمال سيناء التجارية تغلق فى هذا اليوم، وبعضها يفتح - فقط - بعد صلاة المغرب .

عادات الزواج

يتزوج البدو مبكراً وهو تفضيل قد تمنعه ظروف فتؤخر سن الزواج، وكان سابقاً يتم من الأقارب، ابن العم أو ابنة العم أولا، لكن ذلك تغير الآن وأصبح الزواج مفتوحا .

ومعرفة البدوى بالبدوية قد تتم فى الغالب بالمرعى، فإذا أعجبت به الفتاة تسمح بكشف وجهها ليراها، وإذا لم تعجب به تطرده، ولا يوجد إجبار على الزواج فإذا أجبرت عليه تظل منفردة وترفض الدخول لبيت الزوجية(البرزة) حتى تطلق . ويوافق الوالد على الزواج بإعطاء العريس (القصلة) وهى عصا خضراء تمثل رمزاً، فلا يتم إعطاء غصن جاف ،والخضرة دليل على الحياة أو الرغبة فى استمرار الحياة أما لماذا عصا خضراء ؟ فهى فرع من شجرة والفتاة لها نسب .. وقد توسعنا فى هذا الموضوع فى قسم أهمية و دور المرأة فيما سيأتى .

الملابس

يرتدى الرجل السيناوى ثيابا داخلية عبارة عن سروال و فانلة وفتحة عنق مستديرة ثم قفطان من الصوف وأحيانا يستبدل الصوف بالقطن، ويتمنطق الرجل بحزام من الجلد (شبرية)، وتضاف عباءة (دنية) فى البرد، تصنع من صوف الغنم وفى الغالب من شعر الماعز لعدم تشربه بماء المطر مما يجعلها غطاء فعالاً فى الشتاء .

وغطاء الرأس فى المناطق الشمالية يختلف عن الغطاء فى المناطق الجنوبية، فإذا كان الجنوبيون يضعون العمامة فإن رجال الشمال يضعون غطاء من قماش أبيض خفيف،

يتم طيه على شكل مثلث ويتدلى بحيث يغطى الكتفين، وفوق الغطاء وعلى الجزء العلوى يوضع العقال العربى (صرير) ويصنع ويبرم من الصوف الأسود .

أما المرأة فتغطى رأسها و جسمها بوشاح أسودويسمى هذا الوشاح (قنعة) وأحيانا يتكون من قطعتين (داير وقنعة) ويطرز فى أطرافه بشكل بسيط، أما الخمار فيختلف بين القبائل من أجل التمييز، ويمكن للبدوى معرفة قبيلة المرأة من هذا الخمار ويستخدم لحجب وجه المرأة المتزوجة، وهو شريط من القماش يلتف حول الوجه ويعقد خلف الرأس ويزين من الأمام بصفوف العملات المعدنية توضع فوق بعضها بشكل خاص بحيث تبدو من بعيد على شكل حراشيف ذهبية أو فضية .

هناك ثوب آخر شهيريصنع من القماش القطنى الأسود، مطرز بالخيوط الملونة وهذا الثوب اشتهر باسم الثوب البدوى ويعرض حاليا فى معارض دولية ولأهميته شهرته سوف نناقشه تفصيلاً .

الزينة

والمرأة البدوية تملك الحس الجمالى، بشكل بسيط وخاص، دون مبالغة أو إسراف، فتضفر الشعر و تضيف إليه زينته مثل الأشرطة أو الجدائل التى تزين بالخرز (مجارجى).

وكما يتم تزيين الخمار بالعملات فهى تزين شرائط الرأس بالعملات أيضا ويتوقف نوع العملة (فضية أو ذهبية) على قدرة المرأة وعائلتها الاقتصادية .

والى جانب وضع الأقراط فى أذنيها فهى تزين الأنف بعد ثقبه وتضع فيه (الزميم) وهناك عقود مختلفة للرقبة تزين الصدر، قد تصنع من حبات الكهرمان والمرجان وبوسط العقود ويتدلى منها حلقة معدنية أو حجاب قد يصنع من المعدن أو القماش المطرز بالخرز الملون، أما فى اليد فتوجد أساور وخواتم بعضها فضى وبعضها معدنى عادى متعددة الأحجام والأشكال كما تزين ساقيها بالحجول (الخلاخيل) .

لكن مسألة التزين تتوقف ـ كما قلنا ـ على القدرة الاقتصادية، فالمجتمعات البدوية مثلها فى ذلك مثل باقى المجتمعات، وعموما ترتبط الزينة – كما يقول الإخباريون– بمعتقدات خاصة إلى جانب وظيفتها الجمالية مثل طرد الشر وجلب الراحة النفسية .

وللعطر تلجأ البدوية لنقع بعض النباتات فى الماء ثم تتعطر به، وغالبا ما تستخدم القرنفل والمحلب للعطر، و المرأة السيناوية تحب الوشم فتزين الخد وظاهر اليدين ومن ظهر الكف إلى الكوع مروراً بالمعصم . والوشم مثله كمثل تطريز أشكال الثوب البدوى يأخذ من البيئة الطبيعية ذات الدلالات المعينة .

تزين العروس

أما العروس فلها زينتها الخاصة فهى ترتدى (الشناف) وتمسك به أنفها، وهو من حلقة ذهبية يتم خلعها بعد الزواج، كما تضع حلقا ذهبيا اسمه المخرطة وعلى صدرها عقد مكون ١٢ فرجلة تربطها حبات من الذهب، وتضع العروس حزاماً تعلق فيه الخرزات الملونة أما وجهها فيزين بالأصباغ .

وبينما تستخدم السيارات الآن لحمل العروس، فسابقا وحاليا أيضا فى المجتمعات المغرقة فى البداوة داخل الصحراء يستخدم الهودج، ويصنع من أربعة قوائم خشبية وتتصل مع بعضها بعوارض تثبت على ظهر الجمل فوق الرحل لحماية ظهر الجمل وضمان استقرار الهودج .

وتغطى القوائم ببساط أو قماش ملون لستر العروس، ويتم وضعه كالستائر بحيث يمكن لها الأطلال منه وقت ما تريد .

تسمية الأبناء

تختلف أسباب تسمية الأبناء فى المجتمعات، بعض المجتمعات لأفرادها أسماء لا معنى لها ولا رموز، فالاسم عندهم مجرد اسم، مجتمعات أخرى تربط دلالة الاسم بأرواح كما تربطه بالقوة الموجودة فى الحيوانات مثل (ذئب – أسد – ثعلب .. إلخ) لكن فى مجتمعات أخرى قديمة، كما نرى فى الميثولوجيا التركية فإن الذئب يعتبر طوطماً وتوأماً للإنسان، وكثيراً ما تحكى الأساطير عن الإنسان الذى ولد من ذئبة والإنسان الذى أرضعته ذئبة ..

وفى مجتمعات أخرى ترتبط التسمية بالرغبة العميقة لدى الأهل بكف الأذى والحماية، كما نرى فى البيئة الشعبية المصرية بإلباس الولد ملابس فتاة لمنع الحسد وإبعاد الطفل الذكر عن العين وهذا الطقس يعبر عن الثقافة الذكورية السائدة، وكراهية البنات، ولكنها ثقافة تتراجع كثيراً الآن . إن الولد تبعا للتراث السائد هو الذى يحمى العائلة ويدافع عنها وهو الذى يجعلها تمتد وتستمر عبر أولاده الذين يحملون اسمه واسم عائلته . الآن تلعب المرأة دورها الإيجابى فى البناء الاجتماعى للقبيلة .

حتى المرأة نفسها تتجاوب مع هذه الأفكار إذ ترغب فى إنجاب الولد وتفرح به، وفى الظاهر يكون فرحها بسبب تحقيق رغبة الرجل فى إنجاب ولد، ويفسر ذلك بأن فرحها هو تعبير عن خضوعها من أجل إرضاء الرجل، لكنه فى الحقيقة فرح من أجل الرغبة العميقة فى الحماية؛ ليس حماية العائلة فقط، بل حماية الأم نفسها من تقلبات الزوج وغدره وخيانته، أى من الثقافة الذكورية السائدة، وهو ما يكشف عن ميراث التحايل، فهى

تستخدم الثقافة الذكورية التى تستضعفها من أجل حماية نفسها من تلك الثقافة ذاتها .

وكثيراً ما يحدث فى المجتمع البدوى أن يطلق على الابن اسم من أسماء أولياء الله الصالحين من أجل الحماية والتبرك، كما يطلق على الأولاد فى هذا المجتمع أسماء رسول الله وأسماء الخلفاء والأولياء .. وقد يأتى اسم الأب بعده أو اسم العشيرة أو القبيلة فيقال مثلا محمد سواركة أو أحمد السلايمة والسواركة والسلايمة أسماء قبائل وعشائر ..

وفى البنات تكثر أسماء مثل سلمى وسالمة وفاطمة .

و عند العرب فى البادية القديمة، أن بعض الرجال كان يطلق عليهم ألقاب مثل : الطارقة – شارب الدماء – المتغطرس – لاعب الأسنة –) ويقال فى ذلك إن تلك الألقاب هى لتخويف الأعداء .

وتذكر المصادر أنه قيل لأبى الدقيش الكلابى: لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح فقال : إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا .

الختان

الختان طقس معروف فى المجتمع الإسلامى، ويختن البدو أولادهم ذكوراً وإناثاً، ويكون ختان الإناث على يد أمهاتهن أو قريباتهن أو أى امرأة تمتلك المهارة، ولا يحتفل بختان الأنثى أما الولد فيحتفل به وقد يتم ذلك مع أولاد آخرين بعد ختانهم فى خيمة الطهور .

لم يتحدد الختان بسن معينه والتضارب فى تحديده كثير وهذا التضارب موجود فى كل المجتمعات التى تعرف الختان، لكنه يسمح بالطهارة التامة أثناء الوضوء وهو بذلك يعبر عن فرض دينى كما يعبر عن الرغبة فى تمكين الولد من ممارسة الجنس بشكل طبيعى مع الزوجة عندما يكبر . إن تجميع الأطفال لختانهم فى يوم واحد باحتفال واحد وبخيمة واحدة اسمها خيمة الطهور، هو ممارسة طقسية تعبر عن الرجولة وعن قوة العائلة أو القبيلة بزيادة عدد أفرادها من الذكور واستعراضهم رجالها فى المستقبل كمظهر من مظاهر استعراض العزوة والقوة، ولهذا يحتفلون بعملية الختان بذبح الذبائح وإطلاق الرصاص وترديد عبارات الفخر.

الاحتفالات والسهرات

يعشق أهل سيناء السمر، وانحدر إليهم هذا الحب من حبهم لإنشاد الشعر فى الخلاء وأثناء السفر سواء على الجياد أو الإبل أو على الأقدام أو تحت ظلال الشجر أثناء الرعى، وفى المناسبات السعيدة يتم الرقص والغناء وإلقاء الأشعار. ومن أهم احتفالات

البدو هى"الدحية" [1] فهى أحب تسلية للبدو فى سهراتهم وفيها يقف المنشدون (المطربون) صفاً واحداً وبينهم يقف شاعر أو أكثر ويعرف "بالبداع" يرتجل الشعر. وترقص أمامهم فتاة بالسيف وتسمى "الحاشية".

ويبدأ المغنون بقولهم: "الدحية، الدحية" ويكررونها مع التصفيق ثم يبدأ "البداع" فى إلقاء الشعر، ويردد الحاضرون كالجوقة ما يقول، ويتقدمون نحو الراقصة "الحاشية" وهى تتراجع إلى الخلف. ثم يجلسون القرفصاء وكذلك تفعل الراقصة، ويغنون لفترة ثم يعودون للرقص ثانيا .

والشعر والغناء أنواع أربعة: القصيد – غناء الرقص – حداء الإبل – المواليا

و هى تغنى على ظهر الإبل :

(ياكم بنية نوبة ...قلت انا وياها

والجذلة عشب ثرياقبل العرب ترعاها)

وغناء الرقص هو أنواع ثلاثة : الدحية والسامر والمشرقية

أما السامر السيناوى المشهور فهو نوعان:

ـ الرّزعة:وتتكون من فريقين من الرجال، أمام كل فريق راقصة ترقص بالسيف وبدّاع حيث ينشد الشعر فيكرره الرجال، ثم يبدأ بدّاع الفريق الآخر فى الإنشاد، ثم يرد عليه الرجال .

ـ الخوجار : وهذا النوع من السهرات تشترك فيه النساء مع الرجال فى الرقص والإنشاد حيث تقف النساء بين صفى الرجال وتغنين ـ وهَن واقفات فى أماكنهن ـ بمقاطع مثل :

(يا طالعين البرارى .. فى سموم ورياح لا القلب ساكن هنا ..ولا شوقكم مرتاح)

الأخذ بالثأر

البدو عموما فى كافة البوادى يشتركون مع أهل صعيد مصر فى عادة الأخذ بالثأر، ويرجع البعض تلك العادة إلى مشروعيتها تبعا إلى الشريعة الإسلامية وقول الله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)

لكن التوقف عند هذا التفسير فيه ضرر، فالحقيقة أن الثأر عند العرب، هو قديم قدم الزمان وظهر واضحا فى الجاهلية قبل نزول الإسلام، ترسخ فى العرب على مدار مئات

السنين وأصبح عادة من عاداتهم، ومن لا يأخذ بثأره يلحقه العار، ومن هو غير قادر عليه فإن العرف يجيز له الاستعانة بمن يقدر على معاونته فى أخذه بثأره .

ولذا عندما جاء الإسلام وأقر مشروعيتها، فهو يقر فى نفس الوقت حقيقة جوهرية، وهى العفو . فالاتباع بالمعروف والإحسان . وتلك القيم الحقيقية لدين الله بثت فى نفس موضع مشروعية الانتقام .. إن أعظم الفضائل موجودة هنا .. وجهت من بداية الآية للمؤمن فتقول (يا أيها الذين آمنوا) ورغم أن الآية قيلت للمسلمين فى حينه فإنها توجهت للمؤمنين كافة .

إن الصراع الذى يدور فى نفس الإنسان بين الانتقام من قاتل أخيه أو أبيه وبين العفو عنه، ذلك الصراع يتحدد بدرجة الإيمان . لكنه صراع يتداخل فيه أيضا بالتصعيد عوامل أخرى .

فأخ المقتول أو ابنه يواجه بتقاليد القبيلة والاتهام بالعار فى حالة عدم أخذ ثأره .. فالصراع الداخلى عندما ينتهى بالعفو يواجه بصراع آخر مع القبيلة نفسها قد ينتهى بنبذه فيشرد .

ويصبح وحيداً، ولا يمكنه فى هذه الحالة الاتجاه إلى قبيلة أخرى، لأنها لن تقبل ـ تبعا للعرف ـ الضعيف والجبان وصاحب العار .. ولذا فإن الآية السابقة الكريمة تحمل فى جوهرها أعظم فضائل الدين الإسلامى وهى السمو بإنسانية الإنسان أثناء وضعه فى اختبار الإيمان .

معتقد النبى أيوب

للبدو كما لبقية أهل مصر معتقداتهم، وهم يشتركون معهم فى تقدير الأولياء وزيارة قبور الصالحين ونذر النذور وذبح الذبائح، وقد أطلق اسم الشيخ زويد على إحدى مدن سيناء لوجود ضريح الشيخ بها وهو أحد أولياء الله الصالحين، ومقامه داخل قبة يزورها العابرون والأهالى، لكن هناك معتقد خاص يعتبر من أهم معتقداتهم ويطلق عليه (أربعاء أيوب) أو أربعة أيوب، و الحكايات المروية عن هذا المعتقد تقول إن أيوب أثناء مرضه، ذهب إلى شاطىء العريش وجلس أمامه، فسحبته موجة إلى البحر، وعندما خرج كان قد شفى من مرضه، وحكاية أخرى تقول إنه اغتسل بنفسه فى البحر فشفى، ويتبرك أهالى سيناء بهذا المعتقد فيذهبون فى أربعاء أيوب إلى الشاطىء، و يتحدد هذا اليوم بيوم الأربعاء قبل شم النسيم، يذهب الناس إليه لشفاء من أمراض معينة أو معالجه حالات عقم .. والعادة فيه الاستحمام بعد استقبال سبعة أمواج بأجسامهم كرمز لشفاء النبى أيوب بعد سبع سنوات من المرض . وما يميز هذا المعتقد هو قيام المجموع به فى وقت واحد ويوم

واحد، لكن هذا الاحتفال لا يقتصر فقط على أهالى سيناء، هناك مصريون فى وادى النيل يحتفلون به كما يحتفل به أيضاً الفلسطينيون، وهنا يمكن ملاحظة تشابه تلك المعتقدات ببعض التراثيات العربية المجاورة فى كثير من المضامين والأساليب، ولعل ذلك راجع بالضرورة إلى أن هناك أسساً مشتركة وتاريخاً مشتركاً نمت عليه الثقافة الشعبية العربية خلال مراحل طويلة من الزمن .

وفى بحث من أعمق الأبحاث التى كتبت عن احتفال الفلسطينيين بأربعاء أيوب يذكر زكى العيلة عن مراسم الاحتفال : " تعزو الذهنية الشعبية سبب شفاء النبى أيوب، رمز الصبر ونموذج القدرة على تحمل الداء الذى أصابه، وورد ذكره عبر الكتب المقدسة إلى حقيقة اغتساله بماء البحر المطهر الشافى، و قد تغلغل هذا المثل الأعلى للصبر فى الوجدان الشعبى الفلسطينى فاتخذ له موسماً سنوياً، كما خلد ذكراه بإطلاق اسمه على العديد من الأماكن مثل : دير أيوب فى منطقة الرملة و بئر أيوب فى منطقة سلوان فى القدس و عين أيوب فى منطقة رام الله"(٢).

لذا لم يكن مستغرباً أن تنبع عادة استحمام إنساننا الشعبى بمياه البحر يوم أربعاء أيوب، أو أربعاء العطاء والشفاء، الذى يسبق من ناحية توقيتية أحد الفصح الخاص بالمسيحيين الشرقيين مباشرة حيث نلمح هذا الدعاء الاستغاثى، المتزامن وتتابع الموج من قبل المصابين بأمراض جلدية أو قروح مستعصية وهم يرددون:

يا اللى بريت أيوب
أبرينا من هالداء
يا اللى نجيته بالدعا
نجينا من هالبلاء
يا رب يا شافى
بحق سبع بحور
إرفع عذابك ومقتك
عن عبدك المغرور

بينما تردد الفتيات اللواتى يكاد يفوتهن قطار الزواج هذه الأغنية فى أثناء اغتسالهن بماء أيوب أو ماء العطاء :

يا بحر جيتك زايرة
من كثر ما أنا بايرة
كل البنات اتجوزت

وأنا ع شطك دايرة.

هذه المناشدة، اللهفة، تأصل لحقيقة التجاء الإنسان فى لحظات عجزه المتمثل هنا فى خلله الجسمانى : (المرض أو خلله الاجتماعى والبيولوجى : (اللاألفة وعدم الزواج) إلى قوى خارقة يظن أنها " تغضب وترضى، تعطى وتمنع، تنفع وتضر، من هنا ألبسها روحاً خاصة وأسند إليها إرادة كاملة وأخذ يحدد علاقته بها من حيث إنها كائن حى قادر على التدخل فى حياته اليومية ") [٣]

عادات أخرى

وقد شهدت سيناء رياضة مهرجانات وسباقات الهجن، وهى رياضة بدوية خالصة وتتناسب مع عادات واهتمامات البدويين أبناء سيناء، ويرتبط بهذا السباق كرنفالات فولكلورية واسعة للأزياء والعادات والتقاليد والفنون الشعبية . ويعقد بشكل منتظم سباق محلى وعالمى للهجن فى شمال وجنوب سيناء فى أوقات ملائمة كل عام ويشهد إقبالا هائلاً من المشاركين والسياح

وأشهر الأكلات عندهم هى الفطير أما فى عيد الأضحى والمناسبات فتذبح الذبائح وتقدم مع الأرز بأسفله الرقاق ويتم الجلوس لتناوله على الأرض فوق الشلت ويتناول بالأصابع .

المرأة البدوية ودورها فى القبيلة

يفخر بدو سيناء ببيت الشعر (الخباء) حيث تنسجه المرأة البدوية فى أوقات فراغهاوتعمل على صيانته من التلف وتحميه من الحشرات والقوارض، ولأهمية بيت الشعر فى حياة الإنسان البدوى فسوف نعود إليه ..

و للمرأة البدوية دورها الهام والقوى فى المجتمع السيناوى، وهى فى الغالب لا تهان، إنما تكرم وتحترم، و كانت وما زالت مسموعة الكلمة عند الجميع، وهى عاملة وشريكة للرجل فى أكثر أعماله، تبعا لمراحل عمرها، وحياتها فى معظمها كحياة الرجل شظف عيش وخشونة، لكن لايمكن تصوير تلك الحياة كصراع ضد طبيعة الصحراء، فالإنسان البدوى -رجل أم امرأة – هو ابن الصحراء، ويمكن التعبير عن الحياة فيها بأنه صراع تكيف مع الظروف البيئية، والمرأة لها وظائف تتغير تبعا لمراحل عمرها، فهى إلى جانب تربية الأطفال والعناية بأمور الأسرة من إعداد الطعام وترتيب بيتها، تجمع الحطب، وتجلب الماء بالقربة على ظهور الإبل أو الحمير من مسافات بعيدة . ومن عادتها أن تخبز بيديها، حتى لو كان هناك فرن قريب أقامته الحكومة أو أحد الأفراد، وترعى البدوية الغنم أما رعى الإبل فمتروك للرجال، لكنه ليس وضعاً عاما أو تقليداً قديماً، حيث

إن الرجل يرعى - أيضا - الغنم .

وأحيانا تجدبعض الجمال تسرح على جانبى الطرق الأسفلتية وعندما تبحث عن الراعى لا تجده، لكنه غالبا لا يكون بعيداً، فقد يكون وراء جزع شجرة أو ممدداً فى ظل كثيب رملى، أو يكون التجمع البدوى نفسه الذى خرجت منه الجمال قريبا .

إلى جانب قوة المرأة البدوية وصبرها الطويل اللذين يظهران فى عملية الرعى وجلب الماء والحطب من مسافات طويلة فهى أيضا مرهفة الإحساس، تتميز بالطهر والعفة، يبدأ يومها بظهور نجمة الصبحية، فتقوم تبعا لسنها بالعمل الموكول إليها فالأم تعد الشاى والطعام وتحلب الماعز، وتخرج الابنة بدورها لرعى الغنم إلى المراعى فتأخذ معها الطعام، والماء ولا تعود إلا المغرب، وإذا كان المرعى قريباً، فهى تعود إلى البيت ظهراً، حاملة الحطب فتتناول طعامها وتعود إلى المرعى، وعادة ما ترجع الفتاة فى المغرب، وتسترشد بنجمة السهر إذا تأخر بها الوقت .

وهى فى كل ذلك - أى ارتباطها بعملها وتحديدها لأوقات ممارسته - إنما تفعل ذلك عبر مفهوم خاص للزمن يتناسب وطبيعة الحياة فى هذه المجتمعات، ونظرتها لوقت راحتها، تختلف عن نظرة المرأة فى المجتمع الحضرى، والزمن هو وسيلة لتحديد ترتيب الأحداث لمعظم الناس، وهو أيضا يختلف باختلاف وجهة النظر التى ننظر بها، بحيث يمكننا الحديث عن زمن نفسى، أو زمن فيزيائى أو زمن تخيلى، لكن يمكننا حصر الزمن مبدئيا بالإحساس الجماعى للناس كافة على توالى الأحداث بشكل لا رجوع فيه، هذا التوالى يتجلى بتعاقب الأيام. وهو ما فرض على البشر تخيل الزمن بشكل ممتد فى اتجاه لا عودة فيه، إن وقت الراحة مثلا عند المرأة فى المدن هو وقت راحة لا تفعل فيه شيئا وغالبا ما يكون وقت قيلولة أو تمدد على أريكة، أو استماع لموسيقى أو مشاهدة فيلم تليفزيونى، أما إذا كانت من الطبقة الفقيرة فلا يوجد وقت راحة إلا بالنوم ليلا ولساعات قليلة .

أما الزمن عند المرأة البدوية فلا تنفصل فيه ساعات العمل وساعات الراحة وإنما الكل يتلاحم بشكل يتلاءم وطبيعة الحياة فى الصحراء، فالانسجام مع الطبيعة وإيجاد توازن تكيفى دقيق مع البيئة، لايمكن فصله عن الوقت " الذى يمر بانسجام كامن فى إيقاع الطبيعة نفسها . إن تلك الأوقات التى تقضيها المرأة البدوية فى تطريز ثيابها والذى يعتبر نشاطا إنتاجيا، تعتبرها هى وقت راحة فقد تقوم بها أثناء الرعى فى منتصف النهار عندما ترقد الغنم تحت ظل شجرة فتسند الفتاة ظهرها إلى جذع شجرة وتبدأ فى التطريز أو الغزل أثناء راحتها ." [٤]، وزيارات المرأة فى المدن للمعارف تقع تحت بند

مفهوم الواجب، أو زيارة لمنفعة شخصية، أما الزيارات من أجل تقوية الروابط العائلية فقد أصبحت نادرة، واجتماع البدويات معا وزيارتهن فهى من أجل علاقة أكثر تماسكا وتحقق مكسباً اجتماعياً وثقافياً لأنها تؤدى إلى تماسك المجتمع .

وإذا تزوجت المرأة البدوية فهى تطيع زوجها، ولا تعطيه ظهرها أو تنام قبل عودته إلى البيت، وإذا كانت العادات والتقاليد ألزمت المرأة البدوية بنوع معين من الحياة، فإن تلك العادات والتقاليد حمتها من القهر إذا وقع عليها، وأحد أنواع الحماية نوع يطلق عليه " الشرد " وهو من العادات المعترف بها، لكنه ليس الشرد المعروف فى البادية بهرب المرأة المتزوجة مع رجل آخر، وإنما المقصود به اللجوء إلى بيت شيخ العائلة أو القبيلة إذا فرض عليها شيئا لا تريده، كأن يتزوج زوجها بزوجة ثانية رغماً عنها، وهو ما يسمى أيضا " شردا" فشرد معين يقابله شرد معين، وتستمر المرأة فى " شردها " أى مقيمة محمية فى بيت الشيخ حتى تأخذ حقها، ويحق للمرأة المتزوجة إذا تزوج زوجها عليها، أن تحصل على مبلغ من المال يعادل فرش بيت الزوجة الثانية وهو ما يسمى" بالرضاوة " وإذا رفضت زواجه بشكل نهائى ستفقد تلك الرضوة، لكن الرفض لن ينتج تأثيراً فالرجل فى الغالب لن يرجع عن قراره لأنه قرار قد اتخذ بعد مشاورة مع رجال العشيرة أو القبيلة، والزوجة الأولى والثانية أيضا من نفس العشيرة أو القبيلة، وهو ما يعنى أن الزواج عند أهالى سيناء ليس استقلالا عن الأهل بالمعنى المعروف لهذه الكلمة، بل يعتبر امتداداً للقبيلة فى المكان .

ويتم التعبير عن ذلك بتقليد معين وهو عودة المرأة المتزوجة إلى بيت أهلها بعد ليلة الزفاف لتقيم فيه عدة أيام ثم يعود زوجها ويأخذها كدليل أن الابتعاد عن الأهل ليس فصلا بل امتداد كامتداد الفرع فى الشجرة، لذا ترى كثيراً من الأحياء بأسماء العائلة أو العشيرة، أما الأحياء الجديدة التى أطلق عليها أسماء أخرى لاتمت لعائلات سيناء بصلة، فهى أحياء أنشئت لاستيعاب الوافدين من وادى النيل للعمل فى سيناء .

وبعض البدو لهم تقليد آخر فيدخل العريس على عروسه ويمكث معها من يوم إلى ثلاث أيام. ثم تخرج العروس مع زوجها بعيداً عن خيام قومه، ويقوم أهل العريس بإرسال الطعام لهما لمدة قد تمتد لشهر، ثم يعودان لمنزلهما الجديد بجوار أهل العريس .

ومن عادات الزواج أنه بعد ليلة الزفاف وفى صباح اليوم التالى تقوم أم الزوج بتقديم كوب حليب لزوجة ابنها، فإذا شربته الزوجة تكون ليلة الزفاف عدت بانسجام ووفاق بين الزوجين ويصل خبر النجاح من أم الزوج إلى والده ثم إلى باقى العائلة والعشيرة فتذبح الذبائح .

. و المرأة بعد الزواج تتمسك بملكيتها سواء أغنام أو دواجن ولا يحق للزوج أن يحصل حتى على البيض الذى تبيعه البدوية وتحتفظ بثمنه لنفسها، ويقول الأخباريون فى ذلك إنها تحتاط من تقلبات الدهر وتصاريف الزمن .

ولا يطلق البدوى زوجته إلا نادراً وغالباً ما يكون الطلاق بناء على طلب الزوجة لسبب ما، وقد يكون السبب رفضها لزواج الرجل مرة أخرى كما أوضحنا، أو سوء المعاملة، وهى تذهب إلى بيت الشيخ كما فسرنا حتى تأخذ حقها، لكن الطلاق لايتم مباشره، فيتعمد القاضى مرور فترة لانقضاء الانفعال أو الغضب أو أى ظرف آخر، ثم يحكم على الزوج بعملية ترضيه من مال أو غنم وخلافه، لكن إذا لم ترض المرأة وظلت مصممة على الطلاق يقوم قاضى العقبى بتطليقها، وإذا ظهر أنها حامل يجوز للزوج ردها بعد موافقتها، أما إذا رغبت فى الزواج من آخر فيتم ذلك بعد فطام المولود .

لم يحدث أى تأثير على عادات المرأة البدوية وتقاليدها أيام الاحتلال الإسرائيلى لسيناء، والتمسك بتراثها كان صموداً فعليا فى وجه محاولات التهويد، لكن التغير حدث بشكل غير ملموس فى البداية ابتداء من عام ١٩٨٢ ثم أسرع فيما تلا ذلك من أعوام لعاملين مهمين:

الأول: هو عودة المهاجرين وأسرهم من الوادى بعد التحرير، بعد أن ظلوا فى المهجر خمسة عشر عاماً، عاشوا خلالها فى بيئة مختلفة دون انعزال هى بيئة الوادى، وولد لهم هناك جيل امتزج مع جيل آخر من عمره فى الشارع والمدرسة وفى نفس البيت بمساكن متجاورة .

أما العامل الثانى الذى لايمكن إغفاله فى عملية التغير فهو الانفتاح على ثقافة ودای النيل، وعمليات التحديث المستمرة وهى عوامل أدت لتغيرات عديدة، تركت أثرها على المجتمع ككل وطال امتداده ليشمل المرأة، ولم يظهر أثره إلا بعد سنوات من التحرير، لقد بدأ مع الفتيات بفتح مجال التعليم أمامهن واحتكاكهن مع بنات الوادى فى الفصول التعليمية أولا، ثم ارتداء الفتاة ملابس كملابس بنات الوادى، ونتج من التعليم الحصول على الوظائف فى قطاعات مختلفة، وهو ما أدى إلى تغير آخر بالاحتكاك المباشر بآخرين - رجال ونساء - يختلفون عنها ثقافة وفكراً، هذا التغير جعلها تشارك فى المجالس الشعبية والأحزاب السياسية، وعضويات الأندية الرياضية والثقافية وفرق الفنون الشعبية، والجمعيات الأهلية والنقابات المهنية والعمالية، ومع ذلك فإن نسبتهن فى المواقع القيادية ضعيفة - باستثناء المجال التعليمى - ويشير تقرير التنمية البشرية بالمحافظات الموضوع عام ٢٠٠٥، أن نسب شغل المرأة السيناوية للمواقع القيادية بالمجالس الشعبية،

هى نسب ضعيفة وتبلغ فى شمال سيناء (٤، ٣ ٠/٠) لكن إذا عرفنا أن تلك النسبة مثل نسبة قوة العمل (١٩ ٠/٠) تحوى أيضا إناثا وافدات من وادى النيل مع أسرهم، سندرك مدى ضعفها .

وتؤثر العادات والتقاليد فى الوضع الاقتصادى للمرأة، فتصل نسبة مشاركتها فى النشاط (التجارى إلى ١٧ ٠/٠) (٥) بينما تصل حيازتها إلى الملكية الخاصة فى الأراضى الزراعية (بنحو ١، ٥ ٠/٠) (٦) أى واحد ونصف فى المائة يرجع تدنى النسبة إلى عادات القبائل بعدم توريث الأرض للمرأة، وتعوض مالياً بدلا من الأرض، حتى تبقى الأرض بحيازة القبيلة، ويقول أحد الإخباريين إن نسبة التعويض المالى ترتفع أو تنخفض ليس تبعاً لقيمة الأرض بل لقوة الضمير أو ضعفه، فقد تحصل المرأة على قيمة مادية مساوية للأرض لكنها أيضا قد تحصل على أقل .

القضاء العرفى

مجتمع سيناء البدوى لا يعرف نظام المحاكم بالمعنى المتعارف عليه، ولا توجد فيه قوانين وضعية وصيغ قانونية، لكنه يمتلك ثروة من قواعد وأحكام تراكمت على مر السنوات نتيجة لخبرات طويلة، هذه القواعد والأحكام تجمعت فى القانون العرفى. وأحد أهم عوامل وجوده هو طبيعة المجتمع البدوى وترحاله المستمر، فى إقليم تسيطر عليه صحراء مترامية الأطراف، وفى هذا الحيز المكانى الواسع تتم الحركة بين أماكن متعددة، تتكرر تبعا لإيقاع زمنى معين، ولمجابهة المخاطر الناتجة عن هذا الترحال، وعزلتهم النسبية، كان يلزم تكاتف أفراد القبيلة، وهو ما يعنى أن يكون الولاء لها والطاعة لكبارها وشيوخها، والنزول على أحكامهم فيما يطرأ من مشكلات وأحداث تواجههم، وهو ما أوجد القانون العرفى الذى يتحقق من خلاله عمليه الضبط للمجتمع، لكن هذا الضبط تحكمه عوامل " فالروابط القرابية تعتبر عاملاً وأداة للضبط الاجتماعى باعتبارها الوحدة المسئولة عن توقيع العقوبة على أفرادها حين يخرج أحدهم على أنماط السلوك والقيم والتقاليد " (٧)

وروابط القرابة فى المجتمع البدوى بسيناء تحدد حقوقاً والتزامات تقوم بين أعضاء الجماعة القرابية مما يساعد على تماسكها واستمرار قيام العلاقات القوية بين أفرادها، إن هذه العلاقة تعمل على قيام المجتمع البدوى بتوعية أجياله - باستمرار - بطبيعة الجزاءات التى تفرض على مختلف أشكال الخروج على الشرعية الاجتماعية البدوية، حتى يتم حماية الفرد وحماية الجماعة القرابية، وقد يطرح سؤال هو : كيف يتم حماية الجماعة القرابية من جريمة قام بها فرد ؟؟

الإجابة تكمن فى أن امتداد المسئولية مطبق فى هذا المجتمع، بمعنى أن المسئولية لا تطبق فقط على الشخص الذى ارتكب الجريمة، بل المسئولية " تمتد إلى الجماعة القرابية التى ينتمى إليها وتحديداً تسمى جماعة الخمسة أى خمسة أفراد ينحدرون جميعا من أصل واحد مشترك خلال خط الذكور فى خمسة أجيال بالطول " (٨)

إن تلك المسئولية القرابية هى أحد الضمانات لتنفيذ الجزاءات العرفية وتضغط فى اتجاه التنفيذ، لكنها تضغط أكثر فى عمليه الوقاية، بإلزام الجماعة بتوعية الفرد بفوائد السلوك القويم وأن الخروج عليه سيقابل بالعقوبة، وإهمال الجماعة القرابية تلك التوعية سيعود عليها بالجزاء إذا خرج فرد منهم عن المعايير الموضوعة .

والقضاء العرفى سبق القانون المدنى فى تحديد اختصاصات كل محكمة وكل قاض، ويستند إلى بنود محددة ويقرر عقوبات لا يخرج عنها أحد، فالقضاة هم كبار مشايخ القبائل والعائلات، التى يذعن جميع الأفراد لها بالولاء، وهو بذلك يعتبر الدعامة الرئيسية فى تحقيق الضبط الاجتماعى رغم أنه لا يصدر أحكاما بالسجن أو الإعدام " (٩) لكنه يحقق أعلى مستوى من التراضى بين أفراد المجتمع البدوى .

وما أقصده بتراكم ثروة من القواعد والأحكام على مر السنوات، ليست سنوات قريبة، بل يرجع أصل القانون العرفى مع بداية البداوة، وهى ضاربة فى أعماق الزمن، وتعتبر أول مرحلة من مراحل تطور المجتمع، إن وجود القبيلة أساساً يعتمد على وجود قوانين تحافظ على تما سك القبيلة وتحمى بنائها التقليدى وتواجه صراعات الخارج ومشكلات الداخل .

وإذا كان القضاة هم كبار مشايخ القبائل والعائلات، فإن عدم الإذعان لأحكامهم يهدد وجود القبيلة نفسها، والراوى فى السير الشعبية أدرك هذه الحقيقة وذكرها فى أكثر من موضع، وفى سيرة عنترة بن شداد وهى من أقدم وأطول السير التى ذكرت حياة القبائل والبداوة والترحال، عندما يرفض أحد الفرسان نصائح حكيم أو شيخ القبيلة، فإن المعنى هو رفض للتراث الثقافى السائد، فتكون النتيجة الدمار وإراقة الدماء وتشتت أفراد القبيلة وسبى نسائها، وليس المقصود الطاعة العمياء للسلطة، لأن السلطة فى المجتمع البدوى ليست متحكمة أو متعسفة وظالمة، بل هى أساسا معنوية، فهم يحترمون الشورى فى الشئون العامة، إن المقصود الالتزام الخلقى أمام المجموع من أجل المنفعة العامة .

. ويتصف رجال القضاة بالموضوعية والنزاهة والشرف ،ويعتبر قضاة الصلح من أهم الأشخاص الذين يمنعون التوتر والنزاع بين عائلتين أو أكثر والذى ينشأ لأسباب منها

القتل قبل أن يتطور النزاع ويثير حربا، أما إذا أفضى النزاع بين الأفراد لجروح فتحال إلى قاضى القصاص الذى يقيس الجروح ويحكم تبعا لطول الجرح أو عرضه وهو يعمل تبعا لقول الله تعالى :" وكتبنا عليهم فيها إن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " .

ويختص قاضى "المنشد " بقضايا العرض والشرف وفى مجال الأحوال الشخصى يختص القاضى "العقبى " أما الزيادى فينظر فى مسائل المال والإبل ويمكن الاعتراض على حكمه عبر القاضى " الضريبى " هناك جرائم يتم إنكارها، ويحوم الشك أحيانا حول مرتكبيها دون تأكيد، نظرا لعدم وجود شهود، وهى جرائم تحال إلى " المبشع " وسمى بذلك لأن أحكامه تنتج بعد طرق يجريها على المتهم كلحس معدن محمى بالنار فى تقليد يسمى البشعة.

لقد عرف البدو كيفية وضع قوانين تعترف بها القبائل والعشائر كقانون غير مكتوب، لكنه لم يوجد أساسا لمجرد توقيع عقاب أو قصاص بل من أجل حماية بناء القبيلة واستمرار بقائها، ولذا فقد وجد فى هذا القانون قواعد تقضى بعقد أحلاف بين القبائل لتبادل النفع العام تبعا لاتفاقيات معينه تعقد، ومنها السماح لأحد القبائل التى هدد منطقتها الجفاف بالرحيل إلى منطقة قبيلة أخرى للعيش فيها والرعى بها، وإذا قامت تلك القبيلة بذلك دون تحالف فسيعتبر ذلك تعديا يحتكم فيه إلى القانون العرفى .

قصاص الأثر

قص الأثر له أهميته العظمى فى حياة البدو ويقال (البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير) ... أى إن قص الأثر دخل ضمن المأثور الشعبى عند العرب .. وفى القرآن الكريم إشارات لقص الأثر ففى سورة الكهف قال الله تعالى (فارتدا على آثارهما قصصا)

وقصاص الأثر من الشخصيات التى تساعد القاضى العرفى وتلك الشخصيات تعرف بـ " أهل الخبراء " لخبرتهم مجالات الأراضى والإبل والأجور والنخيل، وأشهرهم هو قصاص الأثر وهو بسبب خبرته يعتبر فى حكم قاض، وتستعين به أحياناقوات الأمن لمطاردة الخارجين عن القانون وتجار المخدرات، و يشتهر القصاص بقدرته الفائقة على قص الأثر، سواء كان لرجل أو امرأة أو حيوان . وهل يحمل صاحب الأثر حملا من عدمه، وهل كان يحمل شيئاً ثقيلاً أم خفيفاً أو لا يحمل شيئا على الإطلاق، ويمكنه أيضا اقتفاء أثر الحيوانات الشاردة وردها لأصحابها " .

وفى بداية سيرة عنترة بن شداد حكاية من أجمل حكايات عن قص الأثر ونوردها لجمالها وقيمتها :

(.. بينما أولاد نزار سائرون إذا نظروا قدامهم أثر بعير كأنه شارد إلى ناحية الماء الذى بين أيديهم وارد فقال ربيعة إن الجمل أهوج وقال مضر وأنا أقول إنه أعور فقال إنمار وأنا أقول إنه أزور وقال إياد أنا أقول إنه أبتر .. وقابلهم أعرابى مهرولا وهو ينادى بالسلام وأخبرهم بشرود بعيره .. فقال ربيعة يا وجه العرب أجملك أهوج فقال نعم فقال مضر أجملك أعور قال نعم قال انمار أجملك أزور قال نعم قال إياد يا أخا العرب أجملك ابتر قال نعم .. قال انمار يا أخا العرب أحمله عسل ودقيق فقال الأعرابى يا للعرب قد صح عندى أن بعيرى عندكم فإن هذه الصفات صفته ولا أعرفه إلا منكم فقالوا أيها الأعرابى لا نعلم بعيرك ولا رأيناه فقال الأعرابى واحرباه من هذا الجور والتعدى كيف أنكم تصفونه وتنكرونه ؟)

وقد سار الجميع إلى الملك الأفعى الجرهمى ليفصل بينهم وقد سألهم الملك ماذا يريد هذا الرجل منكم فقال الأعرابى :

(أيها الملك انا شرد لى بعير فسرت أدور عليه فرأيت هؤلاء السادات فسألتهم عنه فوصفوه لى ثم أخبره بكافه المقال فسأل الملك من قال انه اعور ؟ فقال مضر انا، قال من أين علمت وما برهانه ؟ قال لأن البعير السالم العينين يأكل النبات من الجهتين وهذا أكله من جهة واحدة فعلمت أنه أعور، فقال الملك ومن قال إنه ازور؟ فقال انمار أنا، فسأل من أين علمت وما برهانه ؟ فقال رأيت مكان أكله متعفشا فعلمت انه ازور اى مخلوع الحنك فقال ومن قال انه أهوج قال ربيعة انا فقال من أين علمت وما برهانه ؟ فقال ربيعه أن البعير إذا مشى ينقل يدا بعد يد ورجلا بعد رجل فيبقى مشيه متتابعا مستقيما وهذا اثر مشيه مختلف فعلمت انه أهوج .. ومن قال انه ابتر ؟ فقال أياد انا فقال الملك من أين علمت وما برهانه ؟ فقال إياد إن الجمل إذا أراد أن يحرك ذيله على أوراكه فيفرد الروث وهذا روثه كتل كتل فعلمت انه ابتر اى مقطوع الذنب . فسأل الملك ومن أين علمتم إن حمله عسل ودقيق فقال انمار لأنى رأيت الذباب يعف من الجانب الأخر للدقيق فعلمت أن حمله عسل ودقيق . .. فانقضت محكمه الجمل ولم يثبت عليهم شىء)

، وعملية قص الأثر ليست صناعة يتعلمها الإنسان مثل ما يتعلم العمل على ماكينة ما، بل هى موهبة فطرية، وفراسة وقوة ملاحظة تتطور مع التجارب وعادات الآباء والأجداد . ويقول الإخباريون (*) إن عملية قص الأثر تتعدى الإنسان إلى الحيوانات التى تأكل المزروعات، وقصاص الأثر يعرف من أين جاءت ومن يمتلكها . وأثناء زيارتى

لمزرعة أحد الشيوخ بجوار بئر الشهداء بمدينة الحسنة، أشار لى على أثر فى مزروعاته قضمت بواسطة جمل، ثم حدد لى من خلال الأثر على الرمال اتجاه الجمل واسم صاحبه أيضا .

الثوب البدوى

إلى هنا بالرغم من التغيرات المستمرة فى المجتمع البدوى بسيناء وعمليات التحديث المستمرة وارتداء المرأة البدوية أزياء مختلفة جاهزة أو يتم صناعتها بمعرفتهن على الماكينة، فإن الثوب البدوى مازال يتربع على عرش ثياب المرأة البدوية، حيث تفتخر بامتلاك الثوب ، وقد عملت جمعية التراث السيناوى على حفظه بمختصاته الشعبية، لما له من ارتباط بالبيئة البدوية البسيطة بكل ما يعبر عنه من مهارات وطابعه الخاص المرتبط بالسكان والمكان وموارد المنطقة.

إن وجود الثوب البدوى يرجع إلى أن السياق الاجتماعى للمجتمع البدوى وما يسود فيه من عادات وتقاليد، ساهم فى السعى إلى إيجاد ثوب يقبله هذا المجتمع ويتلاءم مع عاداته وتقاليده، محاولا أيضا أن يجمع إلى جانب ذلك المظهر الجمالى الذى ينمى حس الإبداع فى المرأة البدوية .

إن تلك القدرات الإبداعية لدى المرأة والفتاة البدوية .أدت إلى إقامة مركز فن سيناء للمشغولات اليدوية والبدوية والكليم البدوى، وإنشاء مركز تدريب الفتيات البدويات على أعمال التصميم والموضة، بالتعاون مع وزارة الصناعة، حيث يصنف الثوب البدوى ضمن الصناعة البيئية كصناعة حرفية فنية، لاعتماد صناعته على الخبرة البدوية التقليدية بالإضافة إلى كونه يمثل أحد الأعمال التى تمارسها المرأة البدوية فى وقت فراغها، يصنع الثوب البدوى من القماش الأسود، ويختلف نوع القماش الذى يتم التطريز عليه باختلاف الوضع الأقتصادى للمرأة، حيث تقوم بالتطريز على كل قطعة من مكونات الثوب بمفردها من أجل إتقان العمل، وتراعى البدوية زيادة حجم التطريز على أجزاء الصدر والأجناب وخصوصا الذيل حتى لا يتطاير بفعل الرياح، وتقوم البدوية فى المناطق الرعوية بحمل كل جزء من الثوب معها أثناء قيامها بالرعى من أجل تخفيف الحمل، بسبب السير مسافات طويلة وحملها أشياء أخرى كالطعام والشراب ، وبوجه عام تقوم البدوية بعمل الثوب باستغلال أوقات الرعى أو بعد التفرغ من الأعمال المنزلية، و الطريقة الشائعة هى التطريز على قطعة قماش ثم يتم تثبيتها على الثوب، من الظواهر الهامة التى يتضح من خلالها مدى الحس الجمالى الذى تتمتع به البدوية، هو دقتها وإتقانها لعمليه التطريز، فعد الغرز وحصرها جزء من العملية حتى تأتى عمليه التطريز فى النهاية متناسقة، كما

تراعى أيضا المساواة فى الأشكال التى يتم تطريزها، وأهمية التطريز ترجع لأسباب، كتزين الثوب لاستخدامه فى المناسبات كالزواج والأعياد، وإضافة طبقة جديدة لثوب ما قبل التطريز للمساهمة فى عمليه التدفئة أثناء الشتاء أو يتم تجديد ثوب قديم بتطريز جديد، لكن هناك أهميه أخرى أوجدتها طبيعة المجتمع البدوى، فكل قبيلة لها لونها، وكل سن له أيضا لونه وذلك من أجل التمييز بين النساء وبين نساء كل قبيلة وأخرى، فالفتاة فى قبيلة الدواغرة ترتدى ثوبا مطرزا بالأزرق والمرأة ثوبا مطرزا بالأحمر والمسنة ترتدى ثوبا بخطين بلون أحمر على أجناب الثوب وفى أماكن أخرى يطرز بأربعة خطوط اثنين من الأمام واثنين من الخلف ويبدأ التطريز من الخصر حتى الذيل، وتتشابه بعض القبائل مع الدواغرة مثل البياض والأخارسةوالعيادية والمساعيد، وتختلف الألوان فى قبيلة بلى فالمتزوجة ترتدى ثوبا مطرزا بألوان فاتحة مثل الأحمر الخفيف، والمرأة التى أنجبت ثوبا مطرزا تطريزا كحليا مع لون أحمر وفى قبيلة السواركة فإنها ترتدى ثوبا مطرزا باللون الأصفر والأخضر، وعموما ترتدى الفتيات الصغيرات (الأطفال) أثوابا مطرزة بالألوان الزاهية كالبرتقالى والليمونى والأحمر .

وقد ساهمت البيئة فى الأشكال المطرزة التى تحمل كل منها اسما معينا يطلق عليه (عرق ــ مثل عرق طبق الورد وعرق أبو قصبة وعرق الخوخ – العصافير – المثلثات)(١٠)

وتنتمى العروق لبيئتها، فعرق الخوخ والتين يكثر فى المناطق الزراعية، وعرق الطيور يوجد فى البيئة الساحلية التى تكثر فيها الطيور وخاصة المهاجرة منها، أما عرق المثلثات فهو راجع إلى شكل التلال والجبال فى البيئة الصحراوية الداخلية ولكنها لا تقوم بالنقل بشكل اعتباطى من مجرد منظر رأته مثل التلال والجبال ، وإنما إلى ما ترمز إليه من قدرة الخالق . إن الدلالة الرمزية للتكوينات الجزئية المترابطة فى مجموع التكوين الكلى للثوب، توجد المرأة البدوية بحس فنى أصيل مجالاً خصباً للاتصال مع الطبيعة، وهى بممارستها إسقاط لمساحات تواصل واندماج معها تؤكد مفهوم ما سقناه سابقا، إن البدو الرحل مستقرون بمعيار التكيف مع البيئة، فى صحراء مترامية الأطراف لايمكن تحديدها بقرية أو مدينة، وهى بيئة ترى فيها المرأة البدوية الحياة الحقيقية حيث تجد فيها ذاتها وتتراءى لها مملكتها الخاصة بكل مفرداتها .

بيت الشعر

يعتبر الربيع عند الإنسان البدوى السيناوى – رجل أم امرأة – من أروع فصول السنة لأنه يرتبط بموسم الرعى الذى يحمل مسئوليات خاصة، بالإضافة إلى مباهج الحرية

والتسلية ولقاء الأحبة والأقارب واستعادة أيام الصبا، ونصب الخباء .

وحنين الإنسان البدوي إلى بيت الشعر هو حنين لا يقاوم، لأنه يرتبط بحياة البداوة، حياة الأجداد، حياة بتفاصيلها وأمجادها باقية فى الضمير الشعبى، تتمدد فى الأحاديث والأمثال والحكايات والسير والأشعار، التى تقال حول منجد النار فى المساء حيث يجتمع الشمل، فيتم تبادل الخبرات والتجارب كما يتطرق الحديث إلى حكايات الأجداد وبطولات القبيلة، وشجاعة أفرادها يلتف الجميع حول الكبار، يستمعون بلهفة، فيتعلمون ثقافة مجتمعهم وقيمه وعاداته يوما بعد يوم، فيكتب لهذه المجتمعات الاستمرارية عبر انتقال تراثها من جيل لجيل عبر تراث شفاهى، يخلد فى الذاكرة الشعبية .

وقد عبر كثير من الشعراء عن الشوق لعالم البادية وجمال بيت الشعر، والحنين إلى حياة البداوة .... يقول الأمير عبد القادر الجزائرى(١١)

يا عاذرا لا مرىء قد هام فى الحضر
وعاذلاً لمحب البدو والقفر
لا تذ ممن بيوتا خف محملها
وتمدحنّ بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما فى البدو تعذرنى
لكن جهلت وكم فى الجهل من ضرر
فخيلنا دائما للحرب مسرجة
من استغاث بنا بشره بالوطر
بعنا الحضارة بيعا لا نراجعه
بالعز والعز ما ينال فى الحضر
نحن الملوك فلا تعد له بنا أحداً
وأى عيش لمن قد بات فى الحضر؟
ما فى البداوة من عيب تذم به
إلا المروءة والإحسان بالبدر
تبيت نار القرى تبدو لطارقنا
فيها المداواة من جوع ومن فقر
عدونا ما له ملجأ ولا وزر
وعندنا عاديات السبق والظفر
شرابها من حليب ما يخالطه

ماء وليس حليب النوق كالبقر

وتقول الشاعرة ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية بن أبي سفيان (١٢):

للبس عباءة وتقر عينى أحب إلى من لبس الشفوف

وبيت تخفق الأرياح فيه أحب الى من قصر منيف

وبكر يتبع الأظعان صعب أحب إلى من بغل رفوف

وعندما سمع معاوية منها ذلك ألحقها بأهلها، أما الشاعر أحمد العدوانى فيقول فى مطلع قصيدته مذكرات بدوى(١٣):

كنت هنا .. وكان لى بيت من الشعر

نسجته، صنع يدى .. بالصوف والوبر

قام على رابية .. مخضرة الطرر

وهو تلخيص لعالم البراءة والصفاء والبساطة والشاعرية، وهى صفات مازالت فى أعماق الإنسان البدوى رغم طول المسافة الزمنية بينه وبين أجداده، ورغم عمليات التوطين المستمرة والتحديث والتغيرات الأخرى العديدة التى شملت سيناء .

وقد وجد بيت الشعر بفعل طبيعة الحياة البدوية و ليتكيف مع البيئة الصحراوية، وظروف حياة التنقل والسعى وراء المرعى ويصنع البيت من الصوف وشعر الحيوانات تقوم المرأة البدوية بغزله ونسجه على شكل أشرطة وكل شريط بعرض متر تقريبا وتختلف أطواله، ثم تجمع بعد ذلك، ويختلف حجم بيت الشعر البدوى تبعاً لإمكانيات صاحبه المادية، بعض بيوت الشعر (الخباء) تعتمد على عامود واحد، وآخر يحملها عامودان، وبعضها يتكون من ثلاثة أعمدة أو أكثر، ومن الواضح أن العرض تبعا لذلك يكون متقاربا فى كل البيوت، ويختلف الطول باختلاف عدد الأعمده . ويتم تقسيم البيت من الداخل تقسيما خاصا فى استعماله عند البدو حسب العادات والتقاليد و لا يخلو البيت من وجود فتحات صغيرة تسمح بمرور الهواء فى فصل الصيف وخروج الدخان الذى ينتج إما بفعل التدخين أو إشعال نار، وغالبا ما يصنع سقفه من شعر الماعز لأنه لا يمتص ماء المطر .

الرعى

الرعى ارتبط بالبادية، تعتمد عليه حياة القبيلة، وفى الجاهلية كان العبيد مكلفين بالرعى يحرسهم بعض فرسان القبيلة للحماية من غارات السلب، التى تزهق فيها الأرواح، وغالبا ما تكون أرواح الفرسان، أما النساء فتسبى، و العبيد يمتلكهم دائما المنتصرون ولا يوجد أحكم من قول عنترة بن شداد فى هذا المجال :

(ما قيمة أن ينتصر قومي أو ينهزموا؟ إنني عبد هنا أو هناك !!) [١٤]

وقد اختلف الوضع بعد الإسلام الذى ألغى العبودية و حرر الذات الفردية والعامة، ومع اختلاف الوضع، أصبح الرجال والنساء الأحرار يرعون بأنفسهم قطعانهم، وقد انحدر إليهم حب المراعى من حبهم لحياة البادية، أما احترامهم للراعى نفسه فقد جاء بعد الإسلام وفى صحيح البخارى :

(أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم. فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة.)

والرعى فى الصحراء يحتاج إلى جلد وصبر طويل، فى الحر والبرد وخاصة بعد تفرق القطعان فى المراعى، وهو نوع من الإنتاج الاقتصادى البطىء الذى يعتمد تماما على الطبيعة .

والرعى نوعان : رعى الغنم – ماعز وضأن – ورعى الإبل

والخروف فى سيناء لا يختلف كثيرا عن الخروف فى أى منطقة أخرى، لكن فى المناطق الزراعية يبدو أكثر امتلاء لتوفر الغذاء باستمرار، أما الماعز فهو من عائلة الكابرا وتضم الأبيكس والتير والمركهور ويقال إن أصولها ترجع جميعا إلى الضأن . ..

والماعز أنواع : (الوحشى والتير القوقازى والوالى الحبشى والأيبكس النوبى والمركهور والماعز الأهلى والماعز المصرى ..) [١٥] أما البرقى والدرناوى فهما أغنام عربية صغيرة الحجم .

وما يفيدنا هنا هو الماعز المصرى وخاصة الماعز البدوى منه، وغالبا ما يكون لونه أسود، ويتميز بشعره الطويل والقرون السميكة للذكور واعتاد بدو الصحراء خلط صوفه بصوف الخرفان لصنع حبال قوية تستخدم فى تثبيت الخيام وربطها بالأوتاد .

أما إذا وجد ماعز بلون بنى فهو ليس أصلا من ماعز الصحراء وإنما ماعز بلدى لحمه جيد وقرون كباشها كبيرة، وصل إلى البدو عبر التجارة فى الأسواق، أو انتقالات البدو الرحل من سيناء إلى الوادى ثم العودة، أو عبر قروض لتشجيع البدو على تربية الماعز من خلال نوع معين لديه قدرة على التناسل يملكها الماعز البلدى .

وهذا التشجيع يعبر عن اكتساب تربية الماعز أهمية خلال السنوات الأخيرة.ولذلك عده أسباب هى اقتصادية طبعا، أما لماذا تربية الماعز بالذات، فهى لأنها حيوانات ترعى فى مراع فقيرة وقادرة على العيش فيها، وهى تسهم فى تسميد التربة من خلال الرعى فى مراع مفتوحة كما تتميز الماعز بقدرة تفوق الغنم (الخرفان) على هضم المادة الجافة والألياف الخام، تلك المواد تسود بمراع قليلة المطر وهى كثيرة فى صحراء سيناء .

أما الإبل فهى أيضا أنواع:

(الأرجية والشرقمية والعيدية والهرية) (١٦) ولكلها ألقاب خاصة بها مثل :العيس والوجناء وهما لقبان يطلقان على الإبل القوية ولقب الشملال والناجية فيطلقان على الإبل السريعة أما الحرف والعوجاء فتطلق على الضامرة من الإبل أما الإبل الكريمة فيطلق عليها الهجان ومنها اشتق سباق مهرجانات الهجن بسيناء والإسماعيلية والدول العربية.

والإبل معروفة بقدرتها الفائقة على تحمل حياة الصحراء، ولذا غالبا ما يكون تواجدها فى مناطق تعتمد على الأمطار الموسمية وأكثر غذائها منها، وترعى نباتات شوكية لا يتناولها أى حيوان آخر، وتملك القدرة على تحويل النباتات الجافة التى لا تحوى بروتين إلى غذاء غنى ومفيد، وقد استطاعت أن تتكيف مع ظروف نادرا ما يتكيف معها حيوان آخر فتكاثرت وأنتجت، لكن هذا الإنتاج تناقص إلى حوالى النصف فى سيناء لأن تربية الإبل تراجعت لظروف التحديث وانتشار السيارات، والهجرة للعمل خارج سيناء أو فى القرى السياحية . رغم أن رعى الإبل اقتصادى غير مكلف، ففى المراعى المفتوحة لا تتوقف لتنتهى من نبات واحد بل تأخذ القليل منه ثم تنصرف لغيره، وهى تعرف طريقها جيدا سواء إلى المراعى أو التجمعات البدوية التى انطلقت منها، وغالبا ما نجد مجموعة من الإبل بدون راع فى الصحراء على جانبى الطرقات الإسفلتية، و يبطىء السائق عندما يرى قطيعا تحسبا من أى هياج أو اندفاع جمل ما إلى وسط الطريق، والإبل حيوانات كريمة، لا تتزاوج أمام أحد ولا حتى أمام صاحبها حتى لو كانت تحبه، وهى تسير بشكل مهيب، ويقف الجمل دائما رافعا رأسه، على عكس كثير من الحيوانات، وتقريبا يتساوى ارتفاع الرأس مع مستوى ارتفاع السنام أو أعلى قليلا، ونشاطها فى المرعى صباحا أو قبل المغيب ولا ترعى ظهرا فى الحر الشديد حتى لاتفقد الماء ومن أخلاق البدو تكريم الإبل لحبهم لها، ولديهم القدرة على التعرف على أثر إبلهم من بين أخرى، وترد الإبل فتقابلهم بالود والشوق لصاحبها، وتشم رائحته من مسافة بعيدة، وتميز صوته لكنها تعامل المعاملة السيئة بمثلها، وكثيرا ما ذكرت المصادر أخبارا عن بعض الإبل التى انتقمت لنفسها من سوء المعاملة . ولحماية الحيوانات من الاختلاط بحيوانات أخرى فى ملكية آخرين يتم وسمها، لتمييزها عن حيوانات عائلات أخرى، والوسم معروف بأنه يتم بالكى، وبعلامات معينه تختلف من قبيلة لأخرى ويتم وضعها على رأس أو رقبة الأغنام والإبل .

المنازل القديمة

غلب على حياة البدو الترحال .. لذا كانت مساكنهم عبارة عن بيت الشعر الذى

أوضحنا تفاصيله .. لكن ماذا عن أهالى سيناء الذين عملوا فى حرف غير رعوية مثل الزراعة والصيد والتجارة وهؤلاء سكنوا المدن ؟

حاليا تصنع المنازل كما تصنع فى أى مكان آخر بالعالم .. من أسمنت وحديد وطوب.. قديما فى مدن شبه الجزيرة كانت المساكن مختلفة، تبنى من الأحجار المتوفرة فى سيناء وليست من قوالب طينية لخلو سيناء من التربة الطينية المتوفرة على ضفاف النيل، لكن هناك تربة صفراء عندما يضع عليها الماء وتخلط بالتبن وتعجن تصبح متماسكة، وتستخدم فى أعمال المونة أثناء البناء بالأحجار كما تستخدم فى المحارة، لكن الاستخدام يتم سواء فى البناء أو المحارة بطبقات سميكة، والسقف يصنع على هيئة عريشة من فروع أشجار متجاورة أو أخشاب مستوية السطح ويفرش فوقه نفس التربة بعد عجنها وخلطها بالتبن، وعندما توفر الصاج المجلفن تم استخدامه مع وضع التربة فوقه للحماية من الشمس ومنع ارتفاع درجة الحرارة داخل المسكن، الذى يبنى على شكل مستطيل مقسم إلى غرف متجاورة، ولا تفتح الغرف على بعضها وإنما تفتح جميع الغرف على ساحة مكشوفة (الصحن) أما دورة المياه فتقام بشكل منفصل وبعيدة عن المسكن، وفى الساحة المكشوفة تزرع الأرض بالخضرة مثل الجرجير والفجل وأشجار الزيتون والنخيل، ويحيط بالساحة المكشوفة والمنزل عموما، سور عال قد يصل ارتفاعه لمترين، وفى ساحة الدار تبنى أيضا عريشة يغطيها ورق العنب أو سعف النخيل، كثير من الناس يبنون فى ساحة الدار عريشاً من الخشب، ويغطى سقفه بسعف النخيل وقد يستقبل فى هذه العريش الزوار من الأهل، أو يتم قضاء الوقت فيها صيفا، وللزوار أيضا يوجد ما يسمى (الديوان) ويستخدم لعقد اجتماعات أيضا، وهو بناء قد يبنى مستطيل أو مربع تبعا للمساحة لكنه يبنى من ثلاثة جدران ويترك مفتوحا ويكون هذا البناء أول المسكن ويبدو كأنه منفصل عنه، بحيث لا يرى الزوار ما يدور فى باقى أرجاء المنزل، وفى أحد أركان الساحة فرن يصنع من الحجر ويستخدم لصناعة الخبز، ويستخدم الحطب كوقود، وبركن آخر قد يقام حظيرة بسيطة لحفظ الحيوانات أو تربية الدواجن وتصنع من فروع الأشجار وتسيج منها .

وفى البيت السيناوى تتوفر طاحونة صغيرة تتكون من حجريين مستديرين وبالحجر العلوى فتحة لوضع الحبوب ومقبض لإدارة الحجر .. ومازالت هذه الطاحونة موجودة فى بعض البيوت، لكن استعمالها أصبح نادرا، حيث كثرت الأفران التى أقامها الأفراد والحكومة فى سيناء أما فى وسط سيناء، فيتم توزيع الدقيق إما على البطاقات التموينية أو على شكل معونات .

هوامش

١- لوسى يعقوب: العودة إلى سيناء — دار المعارف - القهرة - ١٩٨٤
٢- زكى العيلة: تراث البحر فى فلسطين - منشورات دار الرواد - القدس، ١٩٨٢ .
٣- مصدر سابق
٤- إيمان يوسف البسطويسى : مفهوم الزمن عند المرأة البدوية - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - ١٩٩١ .
٥- تقرير التنمية البشرية للمحافظات - شمال سيناء - وزارة التخطيط والتنمية المحلية - القاهرة - ٢٠٠٥
٦- مصدر سابق
٧- سها عبد الرحمن: الإنسان والمجتمع والثقافة بشمال سيناء (القرابة والمسئولية التأديبية فى القضاء البدوى) - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - ١٩٩١
٨- مرجع سابق
٩- محمد على محمد جاد: القضاء العرفى (دراسة ميدانية) - منشورات أكاديمية الفنون - القاهرة - ١٩٩٢/ ١٩٩٣ .
١٠ - على مراد: الإبداع الفنى فى الثوب البدوى - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية - القاهرة - ١٩٩١
١١- وهب رومية: التشكيل اللغوى فى شعر الأمير عبد القادر الجزائرى - مجلة التراث العربى- اتحاد الكتاب العرب- دمشق العدد ١٠١ السنة السادسة والعشرون - كانون الثانى ٢٠٠٦
١٢- نورية الرومى: العالم الشعرى لأحمد العدوانى - مجلة عالم الفكر - العدد الثانى - الكويت - ١٩٩١
١٣- مصدر سابق
١٤- سير عنترة ابن شداد: المكتبة الشعبية- بيروت - لبنان - د.ت .
١٥- إبراهيم نجيب محمود: كتاب الشعب - القاهرة - ١٩٦٠
١٦- جريدة البوادى العدد ٢٠ مارس ٢٠٠٧

* - الإخباريون: سيتكرر ذكرهم فى سياق الكتاب ، وهم مصدر موثوق به وبخبرتهم وهم من الكبار فى السن ومن الشيوخ .

الفصل السابع

المحميات الطبيعية

تمهيد

المحميات الطبيعية مناطق محمية بموجب قوانين خاصة تحدد فيها الأبعاد الجغرافية للمحميات، من أجل المحافظة على ما تتميز به من التنوع البيئى الطبيعى من الاستغلال الجائر أو الانقراض نتيجة المتغيرات الطبيعية والتنموية .

وتمتلك سيناء العديد من المحميات الطبيعية وتتمتع تبعا لذلك بمقومات سياحة علمية وبحثية تشمل دراسات البيئة النباتية والحيوانية خاصة بمناطق محمية سانت كاترين و رأس محمد، وكذلك دراسة حركة الطيور وهجراتها العالمية فى منطقة الزرانيق ومنطقة رأس محمد، وأهم ملامح الغطاء النباتى فى سيناء هو ثراؤها بالأنوا ع النباتية. حيث يقدر بأن هناك حوالى ٨٥٠ نوعاً من النباتات تنمو فى أنحائها المتفرقة، وهى بذلك تعتبر إحدى أكبر المناطق الجغرافية النباتية الغنية بالفلورا البرية وعلى عكس بعض المناطق الأخرى فى العالم، فإن تلك المحميات حماها سكان المنطقة من البدو قبل أن يصدر أول قانون حماية فى مصر عام ١٩٨٣، عبر نظام حلف صحراوى لمجابهة طبيعة الصحراء مثل نقص الماء وتغير المناخ والجفاف، ونظام الحلف يمنع الرعى ببعض الأودية بمناطق معينة لاستعادة قدرتها على زيادة نمو النباتات والحفاظ على تنوعها مما مكنهم من الاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة دون إهدارها من خلال التحكم بالرعى ومن يخرج عن الحلف يواجه بأحكام القانون العرفى .

ومع ذلك تفيد بعض المصادر أن الرعى الجائر يتم أحيانا من قبل أفراد اعتبروا أرض المحمية أرضهم بوضع اليد من أجيال، كما يتم إزالة الغطاء النباتى لأجل زراعات غذائية، ولمواجهه هذا الوضع تم الاستعانة بأفراد من العائلات المحيطة بالمحمية للحماية والحراسة لكن تلك الحماية من الأفراد تعجز فى المناطق المائية مثل بحيرة البردويل، التى تعرضت لاستخدام جرافات هددت الأحياء البحرية، وصيد عن طريق شباك غير مصرح بها .

سيناء عموما تتمتع بطبيعة جيولوجية متميزة، وتكوينات جغرافية لا مثيل لها ونظام بيئى متكامل يجمع بين الأرض والمياه والآبار والنباتات والحيوانات والطيور والشواطىء والمياه وما بها من أحياء بحرية نادرة . لذلك لم تكن مصادفة أن سيناء التى تمثل نحو ٦ ٪ من مساحة مصر تضم نحو ثلث إجمالى عدد المحميات الطبيعية المعلنة فى مصر، وتجرى دراسات لإعلان مناطق أخرى فى سيناء كمحميات طبيعية .. إن ذلك لا يدل فقط على ثراء بيئة سيناء الطبيعية ولكن يدل أيضاً على الإدراك السليم لقيمة هذا التنوع البيئى وبذل جهود علمية وجادة للحفاظ عليه منذ أن أعلنت أولى المحميات الطبيعية فى سيناء وفى مصر كلها عام ١٩٨٣، وهى محمية رأس محمد وجزيرتا تيران وصنافير، وفيما يلى أهم المحميات الطبيعية فى سيناء محمية رأس محمد وجزيرتى تيران وصنافير أعلنت منطقة رأس محمد وجزيرتى تيران وصنافير محمية طبيعية فى عام ١٩٨٣ كأول محمية طبيعية فى مصر عقب إصدار قانون المحميات الطبيعية الذى حمل رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٣ .. وتقع هذه المحمية عند التقاء خليج السويس وخليج العقبة فى الجزء الجنوبى من شبه جزيرة سيناء على بعد نحو ١٢ كيلو متراً من مدينة شرم الشيخ ونحو ٧٠ كيلو متر من مدينة الطور . تبلغ مساحة المحمية نحو ٢٠٠ كيلو متر مربع وتشمل المحمية على أمثلة لأهم المعالم الجيولوجية فى جنوب سيناء من شعاب مرجانية بارزة وسهول غرينية ووديان وجبال جيرية وجرانيتية وكثبان رملية وتسهم هذه المعالم مجتمعة فى خلق نظام إيكولوجى صحراوى غنى ومتنوع. . وتتمتع محمية رأس محمد وجزيرتى نيران وصنافير بأهمية كبيرة كمنطقة سياحية وكموقع للغطس وكحديقة وطنية فالمحمية تتمتع بشهرة عالية باعتبارها من أجمل مناطق الغوص فى العالم لوجود حفريات بها تتراوح أعمارها ما بين ٧٥ ألف سنة و٢٠ مليون سنة إضافة إلى ثرائها بالشعاب المرجانية والأحياء البرية . . كما تعد منطقة سياحية هامة فيها منطقة شاطئية تصلح للسياحة ومنطقة أشجار المانجروف للبحوث العلمية ومنطقة البركة المسحورة التى تعتمد على حركة المد والجزر ومنطقة الزلازل القديمة.. وبها نقاط لمشاهدة الشعاب المرجانية والطيور ومناطق الحفريات القديمة فى نفس الوقت صنفت المحمية كحديقة وطنية نظراً لما تضمه من مساحات أرضية واسعة ومنطقة

مائية تحوى نماذج متنوعة من البيئات الطبيعية والمناظر ذات القيمة الجمالية بالإضافة إلى تجمعات حيوانية ونباتية وتكوينات جيولوجية متباينة حيث تخدم هذه الحديقة عدة أغراض علمية وتعليمية وسياحية وترفيهية، كما تخدم صيانة التنوع الطبيعى فيها من خلال الحماية والإدارة السليمة . ويتم تحديد مناطق فى تلك الحديقة وممرات خاصة لكل غرض من أغراضها .

الحياة البحرية : تشتمل محمية رأس محمد على نحو ١٥٠ نوعاً من الحيوانات المرجانية، والمرجان كائن حى يبنى لنفسه هيكلاً صلباً ويعيش فى وسط مائى دافىء درجة حرارته ٢٠ درجة مئوية، ويوفر الحياة لأعداد هائلة من الحيوانات والنباتات المشتركة معه فى المياه وتعيش جميعا فى توازن دقيق ولأن الشعاب المرجانية تجذب لها وتأوى أعداداً هائلة من الأسماك مما يعطيها أهمية كبيرة كمناطق صيد أسماك إضافة إلى قيمتها الجمالية لعشاق الغوص . وتضم مياه محمية رأس محمد نحو ١٠٠٠ نوع من الأسماك .. كثير منها ليس له أى موطن آخر غير مياه البحر الأحمر الذى كان منعزلاً تماماً كبحيرة قبل نحو ٥٠٠ ألف سنة كما يقول العلماء . وتوجد أنواع من الجمبرى تستوطن الشقوق الموجودة فى وسط المحمية فى منطقة الزلازل، كما توجد فى المحمية أسماك الملاس، والكشر والنهاش والعبية والفراشة والببغاء، وهى أسماك تعيش وتتوالد فى الشعاب أو فى حشائش قاع البحر التى تجاورها .

أما الأنواع الأخرى مثل القرش والتونة والباراكودا فتأتى إلى الشعاب للطعام وأحياناً للتوالد، كما توجد وتتوالد فى المحمية أنواع من السلاحف البحرية (الترسة) مثل سلحفاة منقار الصقور والسلحفاة الخضراء، والسلحفاة جلدية الظهر .

محميـة الزرانيق وبحيرة البردويل

تقع محمية الزرانيق فى الجزء الشرقى من بحيرة البردويل على مسافة نحو ٣٠ كيلو متر غرب العريش .

وتمثل هذه المنطقة أحد المفاتيح الرئيسية لهجرة الطيور فى العالم، حيث أثبتت الدراسات أهمية المنطقة وموقعها الفريد الذى يربط بين قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، وتمثله المنطقة كجسر عبور للطيور المهاجرة بين هذه القارات خاصة فى فصلى الخريف والربيع من كل عام، فتهاجر الطيور من شرق أوربا وشمال غرب آسيا وروسيا وتركيا فى طريقها إلى وسط وجنوب شرق أفريقيا هرباً من صقيع الشتاء وسعياً وراء مصادر الغذاء الوفيرة مارة بهذه المحمية، وقد تستقر بعض أنواع من الطيور فى البحيرات المصرية، وقد تم تسجيل ٢٤٤ نوعاً من الطيور فى المحمية تمثل ١٤ فصيلة أهمها البجع والبشاروش

والبط والبلشون وأبو قردان واللقلق ومرزة الدجاج والصقر والسمان والحجوالة والحدأة والكروان والطيطوى والنورس وخطاف البحر .

الأحراش الساحلية

اعتبرت منطقة الأحراش الساحلية الممتدة من العريش حتى مدينة رفح محمية طبيعية نظراً لما تضمه منطقة الغرود الرملية الممتدة على شكل شريط على ساحل البحر المتوسط، من مقومات بيئية فريدة ثم المساحات الكثيفة لأشجار الأكاسيا والشجيرات والأعشاب .. مما يجعلها مورداً طبيعياً للمراعى ومأوى للحيوانات والطيور البرية ومصدرا لتثبيت الكثبان الرملية ووقف زحف الرمال، إلا أن هذه الأحراش قد تعرضت من قبل لتقطيع جائر للأشجار والنباتات مما يلزم وتنميتها وترشيد الرعى فيها .

وتضم هذه المنطقة أيضا سبخة الشيخ زويد التى تعد واحدة من الأراضى الرطبة فى سيناء، وتقع بمدينة الشيخ زويد على مسافة نحو كيلو مترين من ساحل البحر المتوسط وتبلغ مساحتها حوالى كيلومترين مربعين وتحيط بها الكثبان الرملية وأشجار النخيل من الشمال والغرب وبعض الزراعات القليلة. أما من الجنوب فتحيط بها أشجار النخيل وزراعات اللوز والخوخ وبعض الحمضيات .

وتعتبر سبخة الشيخ زويد من المناطق الهامة للطيور الشتوية التى تمر بالمنطقة مثل البط الشرشير الشتوى والسمارى والخضارى والشهرمان والبلبول والغر والعديد من الطيور الخواضة مثل أبو الرؤوس المطوق، و أبو الروس سكندرى، والمدروان والدريجة والطيطوى ق وأبو فصادة أسود الرأس، كما يتكاثر بالمنطقة عدة أنواع من الطيور أهمها أبو مغازل والزقزاق البلدى . كما تمر بها أنواع أخرى من الطيور فى فصل الخريف مثل طائر المرعة ودجاجة الماء وطيور السمان .

محمية سانت كاترين

تقع محمية سانت كاترين جنوب سيناء على هضبة مرتفعة تحيطها ارتفاعات تتمثل فى عدة جبال متباينة الارتفاع هى جبل سانت كاترين – أعليجبالمصرارتفاعه ٢٦٤١ م – وجبل موسى وجبل الصفصافة وجبل الصناع وجبل أحر وجبل عباس . وتتميز هذه الجبال بميول حادة متموجة يصعب الصعود عليها بدون وجود مدقات محددة، ومحمية سانت كاترين محمية فريدة من نوعها وهى تعد أكبر وأغنى المحميات الطبيعية فى مصر وتتميز أيضا بكثرة وديانها المرتفعة بمقدار ١٦٠٠ متر عن سطح البحر مما يجعل مناخها مميزا،بالمحمية أيضا أول فندق بيئى نموذجى فى مصر بوادى غربة، وتنتشربها آبارالمياه العذبة وعدد من الثدييات النادرة التكوينات الجيولوجية المتميزة .

وتضم المحمية نوعية من المكونات الجديرة بالحماية .. فهى محمية تاريخية ذات تراث حضارى فريد من نوعه يتمثل فى دير سانت كاترين بمحتوياته المعمارية وكنوزه الفنية والأثرية، وبالجبال المقدسة حولها ذات الأهمية الدينية فضلاً عن بعض الآثار الدينية الأخرى مثل قبر النبى صالح وقبر هارون والمنطقة بكاملها أشهر مع المالسياحة الدينية لوجود جب لموسى و قد سبق أن ضمتها اليونسكو لقائمةالتراث العالمى عام ٢٠٠٢ .

فى نفس الوقت تعد منطقة سانت كاترين محمية طبيعية هامة حيث إنها من أهم الملاجئ الطبيعية لمعظم النباتات النادرة التى تستوطن سيناء والتى يقتصر وجودها فى مصر على تلك المنطقة مثل النباتات الطبية والنباتات السامة وغيرها .. ولعل أهمها السموة والحبك الزعتر والشيح والعجرم والعتوم والبثيران والطرفة والسكران .

وتكثر بها أيضاً ينابيع المياه والزراعات المثمرة، كما توجد بعض آبار المياه ذات الأهمية التاريخية مثل بئر الزيتونة وبئر هارون .

الحياة الحيوانية :

تذخر منطقة سانت كاترين بالعديد من الحيوانات البرية مثل الثعالب والضباع والتياتل والغزلان والوعول والأرانب البرية والذئاب والقنفذ العربى والفأر الشوكى والجربوع والعديد من الزواحف مثل الطريشة .. وكذلك أنواع شتى من الطيور أهمها اللقلق والنسر والصقر والعقاب والعوسق والشنار والقطا المتوج والقمرى وبومة بتلر والقنبرة والأبلق والتمير والغراب والعصفور والنعار والدرسة وغيرها . وقد أعلنت هذه المنطقة محمية طبيعية منذ عام ١٩٨٨ .

محميــة نبــق

اعتبرت منطقة نبق محمية طبيعية فى عام ١٩٩٢، وتقع هذه المحمية فى المنطقة بين شرم الشيخ ودهب ووادى أم عدوى فى جنوب سيناء، وتبعد المحمية ٣٥ كيلو مترا من شمال شرم الشيخ .

وهى تجمع بين البيئة الجبلية والبيئة الصحراوية بكثبانها الرملية عند وادى كيد وبها تجمع مهم من الحيوانات والطيور .. وأشهر حيواناتها الغزلان والتياتل والثعالب والوبر إلى جانب العديد من أنواع القوارض والزواحف . . كما توجد بها كثير من الطيور المقيمة والمهاجرة وأشهرها العقاب النسارية والخواضات و البلشون .

أما أبرز ما تضمه محمية نبق فهو النظام النباتى بها حيث تضم أرضها نحو ١٣٤ نوعاً من النباتات منها نحو ٨٦ نوعاً على الأقل اندثرت تماماً فى الأماكن الأخرى وتجرى دراسات تنمية وإكثار ما تبقى منها فى نبق . . وأشهر نباتات محمية نبق هو نبات

المانجروف المعروف باسم نبات الشورى .. فهذه المنطقة هى آخر منطقة امتداد استوائى لنمو هذا النبات وتجمعاته فى المحيط الهندى والبحر الأحمر .

وتعيش أشجار المانجروف فى المياه المالحة أو القليلة الملوحة (خاصة عند مصبات السيول فى البحر) حيث يمكنها استخلاص المياه العذبة والتخلص من الملح من خلال أوراقها التى يظهر على أسفلها طبقة من الملح وتفيد فى تثبيت الخطوط الساحلية وتساعد على استيقاء الرواسب وتعتبر غابات المانجروف مناطق هامة لتوالد الأسماك واللافقاريات ومستوطنات لأنواع عديدة من الطيور المهاجرة والمقيمة . ويبلغ أقصى ارتفاع للشجرة نحو خمسة أمتار .

محمية أبو جالوم

تقع محمية أبو جالوم على خليج العقبة على الطريق بين شرم الشيخ وطابا بمنطقة تسمى وادى الرساسة، وقد أعلنت كمحمية فى عام ١٩٩٢ .

وتتميز هذه المنطقة بطبوغرافية خاصة ونظام بيئى متكامل يجمع بين البيئة الصحراوية والجبلية ومجموعة الوديان التى تتخللها مما يضفى جمالاً خاصاً للمنطقة .. بالإضافة إلى بيئة بحرية غنية بنوعيات رائعة من الشعاب المرجانية والأسماك الملونة كما توجد بالمحمية حياة برية غنية تضم الغزلان والتياتل والثعالب والوبر وأم الريشات والقنفذ الظهرى وكثيرا من القوارض والزواحف .. كما تعيش بها أنواع مختلفة من الطيور كالنسور والعقاب . وتعد أبو جالوم منطقة جذب سياحى لهواة الغوص ورحلات السفارى ومراقبة الطيور والحيوانات .. وبها منطقة مسموح فيها بالاستثمار السياحى وفق شروط محددة . وبالإضافة إلى كل هذه المحميات المعلنة توجد فى سيناء العديد من المناطق الأخرى التى تحظى بالاهتمام والحماية وهناك دراسات لإعلانها محميات طبيعية مثل منطقة طابا وما حولها ومنطقة عين القديرات قرب القسيمة فى محافظة شمال سيناء .

هوامش

المحميات الطبيعية /يسرى دعبس/ البيطاش سنتر للنشر والتوزيع ١٩٩٩
نشرات الهيئة العامة للاستعلامات
نشرات مركز معلومات الديوان العام

الفصل الثامن

التقسيم الإدارى

تمهيد

انضمت سيناء (*) إلى الإدارة المحلية لأول مرة (بالقرار الجمهورى رقم ٨١١ لسنة ١٩٧٤، ثم تبعة صور القرار الجمهورى رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩ بتقسيم شبه جزيرة سيناء إلى محافظتى شمال وجنوب سيناء) (١) تضم كل منهما عددا من المراكز الإدارية ويتبع كل مركز عدد من القرى ويتبع كل قرية عدد من التجمعات ونظرا لضخامة مساحة سيناء البالغة ٦١ ألف كيلو متر مربع واحتوائها على مئات القرى ومئات التجمعات البدوية، فسوف نكتفى هنا بتناول المدن و المراكز الرئيسية فيها .

أولا مدن ومراكز شمال سيناء

العـريــــــش

عاصمة محافظة شمال سيناء وأهم مدنها على الشاطىء وتقع فى مكان (رينوكلورا) المصرية القديمة، وتتكون العريش من عدد من الأحياء هى : الريسة / ضاحية السلام / ضاحية الجيش / المساعيد / العبور/ الزهور كما تضم قرى – السبيل الميدان – السكاكة – الطويل، كانت العريش ميناء هاماً منذ أقدم العصور، كما كانت موقعا استراتيجياً على الطريق الحربى الكبير (طريق حورس) وفى العصور الوسطى، احتلت العريش أهمية خاصة خلال فتح العرب لمصر حيث يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب الذى كان متردداً فى فتح مصر فى ذلك الوقت، بعث لقائد جيشه عمرو بن العاص رسالة مفادها

إذا لم تكن قد دخلت مصر فارجع، وإذا وصلتك رسالتى وقد دخلتها فامض لوجهتك واستعن بالله .. وقد وصل رسول الخليفة إلى عمرو بن العاص عند العريش فلما قرأ الرسالة أكمل زحفه لأن الرسالة وصلته وهو على أرض مصر . وبالعريش مطار مدنى وميناء بحرى وحديقة للحيوان ومتحف للتراث البيئى، المركز الثقافى لمؤسسة الأهرام - متحف العريش القومي، ومن الآثار أطلال قلعة العريش وقلعة لحفن الرومانية .. إلى جانب توافر المرافق المتطورة والقرى السياحية التى تميزها عن باقى شواطىء مصر كثرة النخيل بها .

بـئر العـبد

أحد مراكز المحافظة الهامة وتقع على طريق القنطرة- العريش الساحلى . واشتق اسمها من بئر امتلكه أحد العبيد، وتحط عنده القوافل وغيرها للتزود بالماء على طريق حورس الحربى والدرب السلطانى .

ويشتهر مركز بئر العبد بعدد قلاع : قلعة وآثار الفرما - قلعة الطينة- قلعة المحمدية الإسلامية - قلعة البلاح - آثار قطيه وقصرويت -

ويتبع المركز بحيرة البردويل التى يعتمد عليها أكثر من ثلاثة آلاف صياد، وهى بعيدة تماما عن أى مصدر للتلوث.كما يشتهر المركز بأشجار النخيل وزراعة الخضراوات والفاكهة التى تزرع على مياه الآبار خاصة منطقة جنوب رابعة، وبعد إنشاء ترعة السلام زادت المساحة المنزرعة وتنوعت بالإضافة إلى إنشاء المزارع السمكية .

وتتبع منطقة بئر العبد أيضاً كل من محمية الزرانيق .. وكذلك منطقة الملاحات على بحيرة البردويل .

الشـيخ زويـد

أطلق اسم الشيخ زويد على المدينة لوجود ضريح أحد أولياء الله الصالحين، ومقامه داخل قبة يزورها العابرون وأهالى المنطقة . وهو أحد مجاهدى الفتح الإسلامى فى عهد عمر بن الخطاب، وتفيد بعض المصادر أن مدينة الشيخ زويد أقيمت على أنقاض بلدة قديمة تدل آثارها على أنها كانت عامرة، والأرجح أن المدينة المقصودة تدعى (لابان) وتقع بالقرب من الشيخ زويد وليست تحتها مباشرة .

وتشتهر المنطقة بزراعات الخوخ.واللوز والمحاصيل التقليدية مثل القمح والشعير والعدس وغيرها . وتحوى الشيخ زويد بعض التلال الأثرية وتعتبر.المدينة مركز اً للعابرين على الطريق الدولى .

رفـــــح

أول النقاط المصرية ومنفذ برى مهم على حدود مصر الشرقية و تطل على شاطىء البحر الأبيض المتوسط، وهى ذات تاريخ عريق حيث كان اسمها فى مصر القديمة "رافيا" وهو أصل اسمها الحالى.وقد تردد ذكرها كثيراً فى عصر الدولة المصرية الحديثة.

ويرفح بعض المعالم مثل : بئر رفح قديمة العهد مطوية بالحجر المنحوت قطرها نحو عشرة أقدام وعمقها نحو عشر قامات، ماؤها غزير صالح للشرب .

وبئر رفيح وتذكر المصادر بأنها بئر حفرتها قبيلة الرميلات فى وسط الكثبان وذلك على بعد ميلين إلى الجنوب الغربى من بئر رفح .

أما هرابة رفح القديمة فتقع على نحو ميل من بئر رفح، إلى الجنوب الشرقى منها، وهى مبنية بالحجر والكلس على شكل الجرة وهى تستقبل مياه الأمطار لتخزينها فى فصل الشتاء .

تعتبر الزراعة النشاط الأساس، وأهم المنتجات الخوخ واللوز والموالح والزيتون والتفاح والشعير والعدس والقمح والخضروات وتزرع على مياه الأمطار والآبار .. كذلك يوجد بها منفذ رفح البرى ويتبعه أيضاً منفذ العوجة البرى على بعد نحو ٤٥ كيلو متراً جنوبياً، وبها خط الحدود الدولية بين مصر وفلسطين وتقع برفح جزء من محمية الأحراش التى تقع فى الغرود الرملية الممتدة على ساحل البحر من العريش حتى الحدود الدولية برفح .

تقع بالمدينة بوابة وهى معبر بين رفح المصرية وفلسطين وتحمل اسم القائد العربى صلاح الدين الأيوبى، وقد أقيمت بالمدينة (بانوراما رفح) وتقع فى النقطة التى رفع عليها السيد رئيس الجمهورية علم الجمهورية فور تحرير رفح يوم ٢٥ /١٩٨٢/٤ وتجسد البانوراما تاريخ العسكرية المصرية فى الدفاع عن سيناء منقوش على حائط موزايكو وأمامه مجسم لجندى مصر رافعا العلم .

الحســـنة

من أهم المدن على الطريق الأوسط فى وسط سيناء حيث شيد بها الأتراك فى الحرب العالمية الأولى مواقع عديدة، كما تقع على ملتقى طرق هامة خاصة الطريق إلى العوجة على حدود مصر الدولية .

وسميت على اسم بئر الحسنة ويعتبر مركزها أكبر مراكز محافظة شمال سيناء، حيث تبلغ مساحته نحو ١٠٦٢٢ كيلو متر مربع، وقد حدثت فيها كما ذكرنا فى فصل سابق محاولة عملية تدويل سيناء (مؤتمر الحسنة) وأهم أنشطة السكان هى الرعى والمنتجات البيئية ونظام المزارع الصغيرة على الآبار والعيون . كذلك تشتهر الحسنة بوجود منجم

فحم المغارة بها، وأقيم بها مصنع اسمنت سيناء لتوافر خامات الأسمنت بها، كما أن بها عدداً من السدود مثل سد وادى الكرم وسد طلعة البدن وأهمها سد الروافعة أكبر سدود سيناء .

موقعها يكتسب أهمية كبيرة حيث تقع على ملتقى طرق رئيسية، كما أنها مدخل هام لمناطق الممرات (متلا والجدى) و بالحسنة واحة القسيمة التى يوجد بها عين القديرات إحدى أهم وأقدم عيون الماء فى سيناء، وتضم الواحة أيضا بقايا قلعة بيزنطية .

نخـــــل

لا يتبع الاسم النخيل أو ينطق بنطقها، بل يرجع إلى نعومة الرمال وكأنها صفيت بمنخل، وهى عاصمة سيناء القديمة وتقع فى القلب من وسطها، يمر بها طريق الحج القديم، لها مكانة استراتيجية هامة لوقوعها على مفترق طرق رئيسية إلى السويس، والعريش وجنوب سيناء ويمر بنخل الآن الطريق الدولى من نفق الشهيد أحمد حمدى عند السويس والذى يتجه بعد نخل إلى المنافذ البحرية كنويبع ثم المنافذ الجوية والبرية فى رأس النقب وطابا .

ونخل مدينة تاريخية فبها ممر متلا، وتحوى قلعة نخل التى بناها السلطان الغورى، ولوحته الأثرية على طريق الحج.

وتزرع فيها مناطق عديدة على مياه الآبار السطحية خاصة فى مناطق الخفجة وبئر جريد والتمد والكونتيلا، أهم المحاصيل الموالح والخضراوات، كما يزرع بها القمح والشعير على مياه الأمطار . وتشتهر مساحات من الجزء الشرقى من نخل بنمو العديد من النباتات الطبيعية على مياه الأمطار .

القنطرة شـــرق

رغم وجود المدينة بسيناء واعتبارها من أكبر خمس مدن فيها من الناحية السكانية فإنها تتبع إداريا محافظة الإسماعيلية مع القنطرة غرب المقابلة لها على الشاطىء الغربى من القناة، والقنطرة شرق أول نقطة فى سيناء على الطريق الساحلى من ناحية الغرب، ويرجع تاريخ بناء هذه المدينة إلى حفر قناة السويس، وبسبب موقعها اكتسبت القنطرة شرق أهمية عسكرية كأحد محاور العبور على قناة السويس . ويقطن القنطرة شرق حوالى ٢٥ ألف نسمة يعمل معظمهم فى الخدمات الحكومية ويزاول عدد منهم التجارة والزراعة، ومن المقدر أن يصل عدد سكان المدينة إلى نحو ١٣٥ ألف نسمة عام ٢٠١٧ مع انتهاء المشروع القومى لتنمية محافظات القناة وسيناء والمخصص له مبلغ ٢٥١، ٧ مليار جنيه يخص سيناء وحدها ١٠٤، ٦ مليار جنيه وهو مشروع يستهدف

توطين ٤،٥ مليون نسمة نصفهم بشمال سيناء وحدها .

مدن ومراكز جنوب سيناء

الطـــــور

عاصمة محافظة جنوب سيناء . وعرفت باسم جبل الطور، وهى مدينة قديمة أثبتت الحفائر أنها كانت ميناء تجارياً هاماً على خليج السويس.فى عصور بعيدة .

وتبعد مدينة الطور نحو ٢٧٥ كيلو متراً عن قناة السويس، ونحو ١٠٠ كيلو متر عن شرم الشيخ . وفى العصر الحديث ارتبط اسم الطور بقوافل الحجاج الذين كانوا يصلون إليها عبر البواخر حيث يقضون فترة الحجر الصحى بها، قبل عودتهم إلى السويس .

و مركز الطور يضم العديد من الأنشطة كالزراعة فى الوديان المحيطة بها على مياه الآبار والأمطار، والرعى الذى يعتمد على الأعشاب المنتشرة بين الأودية، وسبق أن نشطت بها حرفة صيد الأسماك واعتبرت من النشاط الرئيسى للسكان حتى وقت قريب .

يعمل أغلب سكانها حالياً بالخدمات الحكومية وبعض الأنشطة السياحية والتجارية . وتوجد بالطور بعض المعالم الهامة مثل حمام موسى وبعض الآثار التاريخية والكنائس، أما شاطىء الطور خاصة فى منطقة شاطىء النخيل فيجمع بين زراعات النخيل والشاطىء المحصور بين مياه الخليج وسلسلة الجبال فى الشرق، أما شاطىء القمر فهو عبارة عن لسان ممتد لداخل المياه وله شاطىء رملى ناعم .

ســانت كاترين

تعد مدينة سانت كاترين أكثر مدن سيناء خصوصية وتميزاً، تقع سانت كاترين على بعد ١٥٠ كيلو متراً جنوب أبو رديس وحوالى ٦٥ كيلو متراً شرق نويبع فهى تتوسط جنوب سيناء وتبلغ مساحتها ٨١٩ كيلو متر مربع وتعتبر من أعلى الأماكن المأهولة فى سيناء حيث تقع على هضبة ترتفع ١٦٠٠ متر فوق سطح البحر، وتحيط بها مجموعة جبال هى الأعلى فى سيناء بل وفى مصر كلها وأعلاها قمة جبل كاترين وجبل موسى وجبل الصفصافة وغيرها .

هذا الارتفاع جعل لها مناخاً متميزاً أيضاً، فهو معتدل فى الصيف شديد البرودة فى الشتاء حيث تكسو الثلوج قمم الجبال. وتاريخياً هى منطقة ذات أهمية كبيرة و أضيف بعد تاريخى حضارى دينى أخر عندما شيد بها دير سانت كاترين فى القرن السادس الميلادى بأمر من الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين سنة ٤٣٢م وقد أكمل فى عهد الإمبراطور جوستينيان سنة ٥٤٥م، وقد سمى فى العصور التالية باسم دير القديسة كاترين. وهو وما يزال من أعظم الآثار المسيحية فى مصر والعالم . هذا التميز

فى الموقع والمناخ وفى التاريخ والجغرافيا كان له أثره فأصبحت للمنطقة شهرتها السياحية الخاصة كما أنها منطقة زراعية بسبب توفر مصادر المياه الجوفية وبها أيضا مراعيها التى يعمل بها بعض السكان إضافة إلى عمل البعض الأخر بالسياحة .

طابا

تقع على خليج العقبة واحد المنافذ البرية على الحدود، ولها أهميتها التاريخية، أشهرها حادثة طابا عام ١٩٠٦(نتيجة عمل عسكرى قامت به الدولة العثمانية) (٢) وتقول بعض المصادر إنه نتج عن خلاف بين مصر والدولة العثمانية على تعيين الحدود بينهما، ولكن المسألة كانت تتعدى خلاف الحدود، إلى السيطرة على مقدرات الدول، وانتهى الأمر باتفاق لرسم الحدود من طابا إلى رفح سمى بخط فاصل، فمصر كانت ولاية عثمانية وبالتالى يكون خط حدود الإمبراطورية العثمانية هو آخر ولاية من ولاياتها، لكن تم الاعتراف به كخط حدود عام ١٩٢٦ من جانب بريطانيا وما أثارته تركيا كان الهدف الوجود البريطانى فى مصر، وأثناء الاحتلال حاولت إسرائيل سلخ طابا عن مصر عن طريق إخفاء علامات الحدود الدولية وبعد الانسحاب الإسرائيلى من سيناء وتحديدا آخر يوم منه ١٩٨٢/٤/٢٥ اتفق الطرفان مصر وإسرائيل على مبدأ التحكيم وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨ أصدرت هيئة التحكيم التى انعقدت فى جنيف حكمها لصالح مصر، ثم عودتها الفعلى لسيادتها .

يقع بطابا مطار دولى وتشهد نشاطاً عمرانياً وسياحياً مكثفا نظرا لإمكانياتها السياحية، كما ربطت بشبكة من المرافق كالطرق الرئيسية ومصادر المياه والكهرباء .

شرم الشيخ

تكمن أهمية شرم الشيخ فى موقعها عند رأس البحر الأحمر فمن عندها يتفرع إلى خليجى السويس والعقبة، توجد بها وحولها أهم المحميات الطبيعية، وقد أعلنت منطقة رأس محمد وجزيرتا تيران وصنافير محميات طبيعية فى عام ١٩٨٣ كأول محمية طبيعية فى مصر عقب إصدار (قانون المحميات الطبيعية الذى حمل رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٣) (٣) وتقع هذه المحمية عند التقاء خليج السويس وخليج العقبة على بعد نحو ١٢ كيلو متراً من مدينة شرم الشيخ .

يساهم اعتدال المناخ وتوفر المرافق والاتصالات الحديثة والمطار الدولى والقاعات المجهزة فى الفنادق الكبرى وغيّرها، إضافة إلى أماكن الاستضافة الكافية واللائقة على تشجيع عقد العديد من المؤتمرات السياسية والعلمية والمتخصصة وغيرها بالمدينة، و الموقع كمنتجع سياحى يوفر مناخاً ملائماً لمثل هذه المؤتمرات .. كما يتيح الفرصة لأعضائه

للقيام بجولات سياحية بعيداً عن زخم المدن الكبرى .

رأس سـدر

أول مدن جنوب سيناء من ناحية الشرق وتبعد عن قناة السويس بنحو ٦٠ كيلو متراً.. وتقع رأس سدر على خليج السويس وتنتشر بها العديد من الوديان الخصبة مثل وادى سدر وتتبعها قرية رأس مسلة والمالحة .

وأهم أنشطة السكان الزراعة نظراً لتوافر الأراضى الخصبة ومصادر المياه .. كما يعمل عدد متزايد من سكانها فى مجال السياحة التى تنشط بسرعة كبيرة فى المدينة التى تضاعفت أعداد القرى السياحية بها فى السنوات الأخيرة للتمتع بشواطئها الناعمة على مياه خليج السويس.. وبمناخها المعتدل طوال العام .

أبو زنيمـة

من أقدم المناطق المعروفة فى سيناء حيث كان بها ميناء مصرى قديم لنقل الفيروز والنحاس من سيناء (شرق أبو زنيمة) إلى الأقصر وبقية مناطق مصر .وتبعد منطقة أبو زنيمة بنحو ٨٠ كيلو متراً عن رأس سدر تبلغ مساحتها نحو.

وأبو زنيمة حالياً إحدى أهم القلاع الصناعية بسيناء فبها مصنع الفيرومنجنيز ومصانع الجبس، وغالبية سكانها يعملون بها وبالمحاجر والمناجم القريبة منها، ويعمل جزء آخر منهم فى الزراعة حيث تتوفر المياه الجوفية ومياه الأمطار، أما تجمعات البدو فى الوديان التابعة فيعمل معظمهم بالرعى .

وبوادى غرندل وحمام فرعون المعروف كمصدر للسياحة العلاجية . بالقرب من أبو زنيمة يقع معبد حتحور فى سرابيط الخادم .

أبـو رديـس

تقع أبو رديس على خليج السويس جنوب أبو زنيمة وتبلغ نحو ٢٤٠٠ كيلو متر مربع .. محاطة بسلاسل جبلية تتخللها بعض الوديان العميقة الخصبة .

وأبو رديس هى أول مدينة بترولية فى سيناء .. حيث بدأ إنتاج البترول فى حقولها البرية عام ١٩٥٣ .. ثم اكتشف أول بئر بحرى بها وهو حقل بلاعيم البحرى عام ١٩٦١ .. أما إنتاج الغاز فبدأ بها عام ١٩٧٦ لذلك فإن أغلبية سكان أبو رديس من العاملين بشركات البترول والغاز المنتشرة هناك.. أما أهم القرى الزراعية التابعة لها فهى قرية فيران بوادى فيران .. وهى منطقة معروفة منذ القدم وتجود بها زراعة الفاكهة والزيتون .. وبها العديد من عيون وآبار المياه.. ويوجد فى فيران دير البنات وهو من أقدم و أهم الأديرة المسيحية فى سيناء .

دهــــب و نـويـبـع

دهب مدينة سياحية على خليج العقبة، ويتزايد النشاط السياحى بها بصورة مستمرة . إضافة إلى بعض المناطق الزراعية حول المدينة والتى يعمل بها سكان الوديان.

و مدينة نويبع عرفت قديماً بطابية نويبع، وهى عبارة عن طابية صغيرة قامت ببنائها السردارية المصرية فى عام ١٨٩٣م وجعلتها مركزاً للشرطة من الهجانة لحفظ الأمن .

و نويبع حاليا منطقة سياحية – زراعية – تجارية .. فهى ميناء مصرى مهم على خليج العقبة كما توجد بها العديد من آبار المياه إضافة إلى مياه السيول والعيون القريبة .

كلمة قبل الخروج

ونلاحظ أن مدن سيناء ابتداء من رفح بشمالها حتى طابا بجنوبها، تقع على سواحل مثل ساحل البحر المتوسطوخليجى السويس والعقبة وعددها ١٢ مدينة بينما ثلاث مدن فقط لا تطل حدودها على شواطىء وتقع بإقليم الوسط مثل الحسنة ونخل وسانت كاترين التى تقع بمنطقة جبلية فى الجنوب، وتستفيد المدن الساحلية صيفا من السياحة وطول العام من الصيد كما تستفيد من الموانى التى تقع بها، أما سانت كاترين فتستفيد من بعدها الدينى والتاريخى ومركز الحسنة من الخامات الصناعية، ونخل من وقوعه على مفترق طرق رئيسية إلى السويس، والعريش وجنوب سيناء ومرور الطريق الدولى بها، لكن يظل للمراكز التى تطل على شواطىء ميزتها وحصولها على أغلب الاستثمارات .

هوامش

(*) تبعا لمصدر إحصائي عن سيناء فهي حوالي ٣٣٠ ألف منهم ٢٤٠ ألف بشمال سيناء وحدها، والسبب فى عدم ذكرنا عدد السكان في المدن والقرى داخل المتن، أن الإحصاء المعلن لا يتطابق وعدد السكان الفعلي، فالبيوت القائمة في نطاق المدن والقرى والتجمعات لا تضم كل السكان، ويصعب الحصول على إحصاء قريب في مناطق صحراوية ومع بدو يعشقون الخلاء ويهتمون بالرعي وقد يغيبون عده شهور عن مكان تجمعهم، وكثيراً ما يحدث أثناء ركوبنا سيارات الأجرة بين مدن سيناء، أن يقوم راكب بدوى بإيقاف السيارة ويترجل منها سائراً على قدميه، وعندما نتلفت حولنا لانجد إلا رمالاً وكثبان ولاشيء آخر وعندما نسأل أين يذهب ؟ يرد السائق بأن هناك تجمع بدوى على بعد نصف ساعة أو ساعة، وحصوله على الماء يتم عن طريق الإبل أو الحمير .

١- (إعداد) : كتاب الإنجازات ـ مركز المعلومات ودعم القرار ـ سيناء ـ ابريل ٢٠٠٦ .

١-/ خالد محمد القاضي: طابا مصرية ـ مكتبة الأسرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ٢٠٠٠ .

٢- يسرى دعبس : المحميات الطبيعية ـ البيطاش للنشر والتوزيع- الإسكندرية ـ ١٩٩٩ .

الفصل التاسع

سيناء ومحاور التنمية

تمهيد

لم يبدأ العمل فى سيناء بعد التحرير، بل قبلها بسنوات استعدادا ليوم التحرير، وتحديدا بعد حرب أكتوبر، وقد تركت سيناء (خرابا) بعد يوم ١٩٨٢/٤/٢٥، وقبلها تم تدمير العديد من الهياكل الاقتصادية بسيناء، تركت شرم الشيخ خرابا ودمرت مستعمرة ياميت، و ردم (٣٦) بئر ماء بمنطقة رفح وحدها وتسويتهم بالأرض تماما، رغم الملايين التى دفعتها مصر ثمنا للمنشآت، أما الكهرباء فكانت تأتى من الجانب الإسرائيلى وكان الانقطاع المتكرر طول الليل يتم بشكل دورى .

وقد بدأت مصر خطتها فى تعمير سيناء بداية من القرار الجمهورى رقم ٨١١ لسنة ١٩٧٤ لضم سيناء إلى الإدارة المحلية، تبعه صدور (قرار من وزير البحث العلمى والطاقة الذرية القرار رقم (٦) لسنة ١٩٧٦ بإنشاء جهاز بحوث تنمية وتعمير سيناء) (١) ثم صدر القرار الجمهورى رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩ بتقسيم شبة جزيرة سيناء إلى محافظتى شمال وجنوب سيناء، أما جهاز بحوث تنمية وتعمير سيناء فقد ألحق بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا(بالقرار رقم ٤٤ لسنة١٩٨١) (٢) وقد شملت أنشطة الجهاز العديد من المشروعات، مثل دراسة إمكانية استزراع بعض المناطق بهدف توطين مجموعة من السكان، ودراسة عن الجوانب البشرية فى تعمير بعض المناطق المحررة من سيناء ،ودراسات اجتماعية واقتصادية للمواطنين الصامدين فى شبه الجزيرة، بالإضافة إلى

الدراسات الخاصة بإعداد صورة تقديرية لمجتمع سيناء وتركيبه، مع ندوات عقدت عن الموارد الأرضية وشملت الموارد المائية، ثم بدأ الجهاز فى تنفيذ الخطة الخمسية الأولى (٨٣-١٩٨٧) لمعالجة عدد من قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية تبعها بخطط أخرى تخص برامج الغذاء والزراعة والرى والنهوض بالإنتاج الحيوانى، وبرامج الطاقة والتعدين والبترول، مع الدراسات عن الصناعات البيئية وبرامج البنية الأساسية وإعداد خريطة جيولوجية حديثة .

وبداية من عام ١٩٩٤ أنشئ عدد من المراكز البحثية والإرشادية (كمركز بحوث الصحراء فى الشيخ زويد، ومحطة بحوث تنمية وسط سيناء بمنطقة المغارة، ومركز الخدمات الزراعية بكلية العلوم الزراعية بالعريش وبنفس الكلية أنشئ المركز العلمى للتنمية والإرشاد الزراعى، ومحطة البحوث الزراعية ويتبعها إدارة التجارب الزراعية) [٣] وقد أنشئت كل هذه المراكز لتواكب المشروع القومى لتنمية سيناء (١٩٩٤- ٢٠١٧) .

ومنذ عام ١٩٨٢، تم توجيه جهود وموارد عديدة إلى سيناء، تركزت أساساً فى إزالة مخلفات الحرب وإعادة تعمير ما دمرته الحروب المتتالية، ثم تشييد بنية أساسية جديدة من طرق ومواصلات واتصالات وكهرباء .. وخدمات وغيرها .. كما توجهت إليها أيضا بعض الاستثمارات خاصة فى القطاع السياحى

الهيكل العمرانى

يتجه شريط العمران من رفح حتى البرد ويل مروراً بالعريش أكبر مدن سيناء .. ثم يأتى الثلث الجنوبى من سيناء المحصور بين خليجى السويس والعقبة حيث يعود عدد السكان إلى التزايد فى النقاط المأهولة خاصة مدن التعدين والبترول (أبو زنيمة – أبو رديس – رأس سدر) بالإضافة إلى الطور مدينة الصيد، فيما عدا ذلك ينتشر العمران فى سيناء على شكل بقع فى مواقع متعددة .

هذا الهيكل العمرانى فى سيناء بدأ يتعدل بشكل سريع تجاوباً مع جهود التنمية .فالسياحة ضاعفت من أعداد السكان فى مناطق لم تكن كثيفة السكان من قبل خاصة على خليج العقبة .. وجهود توفير المياه والطرق أدى أيضاً إلى خلق نوع من الترابط بين محاور الهيكل العمرانى وأصبح التقسيم الإدارى لسيناء يشمل محافظتين هما شمال سيناء وجنوب سيناء إضافة إلى مدينة القنطرة شرق التابعة لمحافظة الإسماعيلية .. ومنطقة الشط التابعة لمحافظة السويس .

أما أهم مدن سيناء فهى العريش – طور سيناء – بئر العبد – الشيخ زويد – رفح – الحسنة – نخل – رأس سدر – أبو زنيمة – أبو رديس – سانت كاترين – شرم الشيخ –

دهب – نويبع – القنطرة شرق – طابا . وتعد هذه المدن (إضافة إلى بعض المراكز العمرانية التى سوف تستحدث) [٤] هى أساس التنمية الحضرية والعمرانية فى إطار المشروع القومى لتنمية سيناء)١٩٩٤– ٢٠١٧) كما أن هناك ٩٥ قرية مركزية ستتطور لتصبح مراكز للتنمية الريفية بما يتبع ذلك من نشاط زراعى وما يرتبط به من أنشطة صناعية وتجارية وخدمية .

كذلك فإن هناك ٢٧١ قرية تابعة أخرى يغلب عليها الطابع الريفى إضافة إلى مئات التجمعات البدوية .. كل ذلك سوف ينتظم فى إطار نسيج عمرانى متصل كلما أمكن ذلك وعلى أساس أن تنتشر مناطق تنمية عديدة ومتعددة الوظائف مما يدعم من التواصل والتضافر بين سكان سيناء الحاليين والقادمين إليها مع برامج التنمية .. ومن ثم فإن التنمية العمرانية تتخذ من التجمعات الحالية نقطة انطلاق، وتبلغ التكلفة التقديرية لخطط التنمية العمرانية فى سيناء نحو ٢٠,٨ مليار جنيه فى الفترة من ١٩٩٤ – ٢٠١٧ منها ١٦ مليار جنيه لبناء نحو ٧٠٠ ألف وحدة سكنية، و ٢٨٠٠ مليون جنيه تكلفة المرافق الداخلية من مياه شرب وصرف صحى ونحو مليارى جنيه لإعداد وتجهيز المناطق الصناعية .

حيث سيتم توطين نحو ٣ ملايين نسمة آخرين فى سيناء على عدة محاور أهمها المحور الشمالى (زراعى أساساً) والمحور الغربى (مناطق حرة وصناعة وزراعة)ومحور خليج السويس (تعدين وبترول وسياحة) ومحور خليج العقبة (سياحة) والمحور الأوسط (رعى وصناعات صغيرة وتعدينية .

مقومات الإنتاج

ارتبطت (مصادر الإنتاج) [٥] بأطراف سيناء بينما خلت مساحات واسعة وشاسعة فى الوسط خاصة مناطق الهضاب والجبال . حيث يعد الساحلان الشمالى والغربى من المعمور والسواحل الحية بعكس الشرق ذى الكثافة المحدودة

ولكن الانطلاق الجوهرى نحو تعمير سيناء كان مع بداية خطة التنمية الثالثة فى مصر (١٩٩٢ – ١٩٩٧) وعلى وجه الخصوص اعتباراً من عام ١٩٩٤ عندما صدرت وثيقة المشروع القومى لتنمية سيناء متضمناً خطة عامة وبرامج تنفيذ تفصيلية محددة لتنمية وتعمير سيناء حتى عام (٢٠١٧) بتكاليف مبدئية قدرت بنحو ٧٥ مليار جنيه . وفى سبتمبر ٢٠٠٠ تم إعادة رسم استراتيجية التنمية لتضم محافظات القناة حيث بلغت التكلفة الاستثمارية الجديدة ١١٠,٦ مليار جنيه حتى ٢٠١٧م منها ٦٤ مليار جنيه لشمال سيناء، ٤٦,٦ مليار جنيه لجنوب سيناء . وفيما يلى استعراض مقومات الإنتاج و محاور التنمية .

القطاع الزراعى والثروة السمكية

الزراعة هى النشاط الأكبر لسكان شبه جزيرة سيناء تقليدياً (إلى جانب الرعى والصيد) وتقدر جملة المساحات المنزرعة بأكثر من ٣٠٠ ألف فدان فى شمال سيناء ونحو ٣٥٠٠ فدان فى جنوب سيناء ويرجع الفرق إلى طبيعة السطح فى المحافظتين .

.كما تقدر الثروة الحيوانية فى سيناء بنحو (٥٢٨) ألف رأس من الأغنام والماعز والجمال و الأبقار والجاموس والدواجن المختلفة و تعتمد فى معظمها على المراعى الطبيعية لكن هذا العدد يظل لا يعبر عن الواقع لسببين :

الأول: هو طبيعة المجتمع الرعوى المتنقل فى الصحراء حيث يصعب الحصر الدقيق

والثانى: (أنفلونزا الطيور) والإجراءات التى اتبعت من عام ٢٠٠٦ وهى إجراءات شابها بعض الأخطاء أثناء التنفيذ عن طريق لجان مثل قلة التوعية، ونقص المعلومات فى البداية مما أدى إلى ما يمكن وصفه (برعب) نتج عنه ذبح كثير من الدواجن والحمام .

أما الصيد، فإنه يتركز فى بحيرة البردويل وخليجى العقبة والسويس .. ويبلغ إجمالى حصيلة الصيد فى سيناء نحو٤،٧ألف طن سنويا وهى كمية قد لا تقترب من الواقع لوجود صيد غير مشروع فى المحميات الطبيعية بسيناء، لكن هناك خطط للوصول بالإنتاج عبر برامج تنمية نشاط الصيد وتطوير المصايد إلى نحو ٣٧ ألف طن من البحر المتوسط و ٨ آلاف طن من بحيرة البردويل .. إلى جانب مشروعات كبيرة لمضاعفة إنتاج مصايد خليجى السويس والعقبة .. خاصة فى موانئ رأس سدر والطور وأبو زنيمة .

المياه :

تمثل المياه العنصر الأساسى الحاكم للتنمية فى المناطق الصحراوية عموما ومنها شبه جزيرة سيناء والموارد المائية فيها حتى عام ١٩٩٤ كانت تضم :

– مياه الأمطار والسيل : وهى فى حدود من ٩٠ – ٢٣٥ مليون متر مكعب فى السنة.

– المياه الجوفية : حيث تتمتع سيناء برصيد معقول من مصادر المياه الجوفية .. ويمكن استخدام نحو ٨٠ مليون متر مكعب من المياه الجوفية سنويا .. منها ١٠ ملايين متر مكعب من الخزان الجوفى الضحل (المياه السطحية) و٧٠ مليون متر مكعب فى السنة من الخزانات المتوسطة والعميقة .. خاصة فى مناطق وسط سيناء مثل رأس النقب وعريف الناقة ونخل والبروك والقسيمة والحسنة و الكونتلا والمغارة وصدر الحيطان والقاع وغيرها

– العيون الطبيعية : حيث تضم سيناء العديد من عيون الماء الطبيعية ذات نوعيات متباينة من المياه .. وتتباين تصرفاتها ما بين ٣ إلى ٨٠ متراً مكعباً فى الساعة .. وأكبر هذه العيون .. عين فرطاجة بوادى وتير ثم عين الجديرات بوادى القسيمة ثم عين طابا بوادى

طابا ثم عين القديس بوادى الجايفة وعيون موسى جنوب شرقى قناة السويس .

وإزاء هذه الموارد المائية المحدودة نسبياً فإن التغيير الجذرى فى مصادر المياه بسيناء يأتى عبر المياه المنقولة من نهر النيل من خلال ثلاثة مشروعات أساسية هى :

– مشروع ترعة السلام : يتضمن استصلاح وزراعة ٤٠٠ ألف فدان على مياه النيل عبر ترعة السلام التى تعبر قناة السويس بسحارة عند الكيلو ٢٨ جنوب بورسعيد، وبطاقة نحو ٤,٥ مليار متر مكعب من المياه سنويا تأتى مناصفة من مياه النيل ومياه الصرف الزراعى .

– سحارة الدفرسوار : وتستهدف زراعة نحو ٧٧ ألف فدان شرق قناة السويس عبر سحارة الدفرسوار التى تنقل نحو ٤٢٠ مليون متر مكعب من مياه النيل إلى سيناء سنوياً.

– زراعة ٢٥٠ ألف فدان أخرى فى سيناء على المدى الطويل بعد تنفيذ مشروعات أعالى النيل . وإلى جانب هذه المياه المنقولة من نهر النيل إلى سيناء، فإن المشروع القومى لتنمية سيناء تضمن أيضا استصلاح وزراعة نحو ٦٥ ألف فدان إضافية على مصادر المياه المحلية . . منها استصلاح وزراعة نحو ٧ آلاف فدان على المياه الجوفية فى وسط سيناء (المغارة – الخرمم – صدر الحيطان.– الكونتلا – عريف الناقة – التمد – نخل – البروك، واستصلاح نحو ٨ آلاف فدان على المياه الجوفية فى جنوب سيناء (وادى فيران – المالحة – سهل القاع – غرندل)، واستصلاح نحو ٥٠ ألف فدان على مياه السيول من خلال إقامة سدود التخزين بمناطق وديان البروك والجيرافى والعريش والعقبة ووتير .

أما بالنسبة للمراعى، فقد تضمن المشروع إعادة الغطاء النباتى الطبيعى وإدارة المراعى فى نحو ٣٠٠ ألف فدان فى سيناء، وتشجيع وتنظيم نشاط المرعى وتربية الماشية وتوفير المقومات اللازمة لذلك ،إضافة إلى التوسع فى مشروعات الثروة الداجنة .

الصناعة والتعدين:

فى نهاية عام ١٩٨٣ كان إجمالى النشاط الصناعى فى سيناء يتضمن ٤٠ منشأة يعمل بها نحو ٤٠٠٠ عامل . معظمهم فى حقول استخراج البترول والغاز وصناعات حرفية وصغيرة مثل الصناعات الزراعية والغذائية والصناعات البيئية والمشغولات والمفروشات والملابس .

وفى مجال التعدين والمناجم هناك شركة للمنجنيز فى أبو زنيمة بجنوب سيناء، و تقوم أيضا بصناعة الفيرومنجنيز واستغلال محدود للرمال البيضاء والكاولين .. ومصنع للجبس عند رأس ملعب بالقرب من أبو زنيمة .. إلى جانب منجم الفحم الذى افتتح بالمغارة فى

عـام ١٩٩٧ ويتوفر الفحم أيضا في عيون موسى وشرق أبو زنيمة ،والكبريت : بين العريش ورفح، والمنجنيز : قرب أبو زنيمة، والنحاس : يوجد في غرب وجنوب سيناء ،والكاولين : ويستخدم في صناعة الخزف والصيني والأسمنت والمنسوجات والبلاستيك والورق وغيرها، ويوجد بأبو زنيمة وهضبة التيه.

،والرمال البيضاء : وتستخدم في مجال صناعة الزجاج الطبي والفاخر والكريستال .. وتوجد في كل من شمال وجنوب سيناء على السواء، وكلوريد الصوديوم : وهو ملح الطعام ويوجد بكميات كبيرة في ملاحات بحيرة البردويل، والجبس : ويوجد في رأس ملعب ووادي الريانة والبرد ويل إلى جانب احتياطيات كبيرة من كبريتات الصوديوم والطفلة الكربونية طن) والالبيتيت والبنتونيت والرمال السوداء ومواد البناء كالأحجار الجيرية والصخور والرمال والزلط، إلى جانب أحجار الزينة كالرخام والجرانيت والألباستر .

في ضوء هذا الثراء الكبير لمعادن سيناء فقد بدء إنشاء بنية صناعية إنتاجية واسعة تتضمن مجموعة صناعات لمواد البناء منها مصنعان لإنتاج الأسمنت – تم تنفيذ واحد منهم – ومصنع للسيراميك والأدوات الصحية ومصنع للأخشاب وآخر للزجاج وغيرها .. ثم مجموعة الصناعات الكيماوية وتشمل معملاً لتكرير البترول ومصنعاً لإنتاج كربونات الصوديوم ومصنعاً للإيشلين المنتج من الغاز الطبيعي، ثم مجموعة الصناعات الغذائية مثل عصر وتعبئة الزيتون وحفظ وتعليب الخضر والفاكهة ومدابغ الجلود .

ثم مجموعة الصناعات المعدنية .. كالتوسع في إنتاج الفيرو منجنيز، والسماد الفوسفاتي وغيرها .. إضافة إلى الصناعات الصغيرة والحرفية والبيئية .. وذلك من خلال إقامة مجمعات للصناعات الصغيرة قرب المدن الكبرى والتجمعات السكانية .

وبالإضافة إلى كل ذلك، فإن هناك مجموعة من المناطق الصناعية والمناطق الحرة التي تقرر إقامتها وعددها ٩ مناطق حرة وصناعية : في العريش (٢٤٠ فداناً) والقنطرة شرق (٨٠ فداناً) وبئر العبد (٢٥٠ فداناً)ووادي التكنولوجيا شرق البحيرات المرة (٨٠٠فدان) وسهل الطينة (٤٠ فداناً) والشيخ زويد (٨٠فدانا) ثم المنطقة الحرة شرق بورسعيد (١٠٠فدان) وتقدر إجمالي الاستثمارات المستهدفة لقطاع الصناعة في سيناء بنحو ١٠ مليارات جنيه.

البـتـرول:

اكتشف البترول على ساحل خليج السويس لأول مرة في عام ١٩٤٦ .. ويعتبر خليج السويس وساحل سيناء المجاور له من أهم المناطق البترولية في مصر سواء من حيث الإنتاج أو كمية الاحتياطي أو الآفاق الواعدة في المستقبل .

أما مشروعات خطوط الغاز عبر سيناء فهى :

- خط من شرق القناة حتى الشيخ زويد - يبلغ طول المسار ١٩٣,٥ كم بتكلفة ١٩٢,٥ مليون دولار - تم الانتهاء من خط الغاز فى نهاية ديسمبر ٢٠٠٠م .
- خط غاز لمنطقة الصناعات الثقيلة بوسط سيناء بطول ٤٥ كم بتكلفة ٦٩ مليون جنيه
- خط غاز العريش / طابا بطول ٢٥٠ كم لخدمة أغراض التصدير للمشرق العربى .
- خط فرعى بمعرفة شركة لتغذية محطتى كهرباء المساعيد الغازية والبخارية بطول ٧,٥ كم بتكلفة ١٣ مليون جنيه .

الكهرباء :

تربط سيناء شبكة كهرباء من محطات توليد وشبكة نقل ومحولات واسعة لمواكبة كل مراحل ومناطق التنمية، ومن المقرر أن تتسع الأحمال المستقبلية إلى ١٣٠٠ ميجاوات عام ٢٠١٧ باستثمارات نحو ٦ مليارات جنيه لإنشاء محطات توليد جديدة وتدعيم المحطات القائمة وتشييد شبكة مناسبة تغطى كل مساحات التنمية.

النقل والاتصالات :

بدأ الاهتمام بتطوير قطاع النقل والمواصلات والاتصالات فى سيناء عقب تحريرها مباشرة .. من أجل توفير التواصل البرى بين سيناء وسائر أنحاء مصر عبر قناة السويس .. وتوفير وصلات الربط اللازمة مع المشرق العربى .. وتحقيق الترابط الداخلى بين مختلف أنحاء سيناء نفسها لخدمة متطلبات التنمية . وكذلك الربط المباشر بين سيناء والعالم الخارجى .

وأهم الطرق فى سيناء: محور القنطرة شرق - رفح، ومحور الإسماعيلية - الحدود المصرية عند العوجة .. ومحور الشط رأس النقب إلى جانب خط القنطرة شرق - الشط - شرم الشيخ، وخط شرم الشيخ طابا .. وخط نويبع رفح وخط العريش نخل وخط بئر العبد صدر الحيطان، وخط نويبع كاترين عبر وادى فيران .

وتضمنت خطط التنمية إقامة شبكة من الطرق المكملة والمغذية لكل المواقع الحضرية والعمرانية وخدمة مناطق التوسع الزراعى وخاصة الطرق التى تتم بمحاذاة ترعة السلام وفروعها .

نقاط العبور:

تتضمن ربط سيناء ببقية أنحاء الجمهورية إنشاء ثلاث نقاط عبور عبر قناة السويس هى نفق الشهيد أحمد حمدى عند السويس، ثم كوبرى عبور السيارات جنوب مدينة القنطرة شرق عند الكيلو ٤٨، وبطول ٩، ٥ كم با بالمداخل وعرض ٢٠ متر وارتفاع

الخلوص الملاحى ٧٠ متر فوق منسوب المياه، وعرض الفتحة الملاحية ٤٠٤ متر، وبتكلفة ٦٧٠ مليون جنيه مصرى، و قد انتهى العمل من تنفيذ الكوبرى فى ٢٠٠١/١٠/٩، وقد تم تصميم القوائم على شكل المسلات المصرية

كوبرى السكة الحديد عند الفردان، عند (??كيلو) شمال مدينة الإسماعيلية ب١١كم ويعتبر الأول من نوعه فى العالم كأطول كوبرى سكه حديد معدنى متحرك حيث يصل الطول الكلى للكوبرى ٤ كم فوق اليابس وعبر القناة وعرض الكوبرى من الداخل ٢, ١٠ متر وأرضية الكوبرى معدنية يمر بمنتصفها خط السكة الحديد وعلى كل من جانبيه حارة بعرض ٣ متر لمرور السيارات و الشاحنات بحمولة ٧٠ طن تبلغ تكلفة إنشاء الكوبرى ٣٨٠ مليون جنيه .

إضافة إلى ٤ كبارى عائمة بالجهود الذاتية لهيئة قناة السويس . .كذلك فإن هناك ٤ منافذ برية هى رفح – طابا – العوجة – رأس النقب .

السكك الحديدية:

البدء فى إنشاء خط جديد للسكك الحديدية بين الإسماعيلية ورفح بطول ٢٢٥ كيلو متراً عبر القناة من خلال كوبرى الفردان للسكك الحديدية بالقرب من القنطرة، ويتضمن الخط ١٣ محطة تم الانتهاء من ٦ محطات هى القنطرة شرق / جلبانة / بالوظة / رمانة / نجيلة/ بئر العبد، وتضمنت مقترحات محافظة شمال سيناء بالتعاون مع وزارة النقل استكمال خط السكة الحديد من بئر العبد إلى العريش كمرحلة أولى ثم استكمال الخط حتى رفح مع وصلة تصل لمنطقة الصناعات الثقيلة بوسط سيناء بالحسنة .

وبخطط السكك الحديدية إنشاء طريق يتجه شمالاً لخدمة مشروعات شرق بورسعيد والمنطقة الحرة بها، ثم يتجه خط آخر جنوباً إلى نخل ثم الطور .

الموانىء :

تم تطوير ميناء العريش وميناء نويبع كموانى دولية .. ثم تطوير ميناء الطور وميناء رأس سدر لحركة الملاحة المحلية، أما المطارات فهناك مطارات دولية فى العريش ورأس النقب وشرم الشيخ إضافة إلى مطار سانت كاترين، وإنشاء مهابط طائرات صغيرة فى كل من دهب ونويبع .

خطوط مياه الشرب والصرف الصحى

توفر مياه الشرب وخدمات الصرف الصحى من أهم المحددات لنجاح عمليات التوطيد السكانى فى سيناء . وتعتبر مياه نهر النيل هى المصدر الأساسى لمياه الشرب فى سيناء .. حيث تصل مياه الشرب من النيل إلى العريش عبر محطة مياه القنطرة .. كما تصل إلى

الطور عبر السويس .. وتمتد من هذا الخط إلى شرم الشيخ .. إلى جانب بعض مصادر المياه السطحية والجوفية ومحطات تحلية المياه .

وفى عام ١٩٩٤ كانت جملة مصادر مياه الشرب نحو ٢٤٠ ألف متر مكعب فى اليوم منها ٤٠ ألفا من المياه الجوفية ونحو ١٩٠ ألفا من مياه النيل ونحو عشرة آلاف متر مكعب من المياه المحلاة . ومن المستهدف الوصول بهذه الطاقة إلى نحو ٦٥٢ ألف متر مكعب من المياه يومياً .. وذلك برفع المياه الجوفية إلى ٥١,٥ ألف متر مكعب يومياً ومياه النيل إلى نحو ٤٩٢ ألف متر مكعب يومياً والمياه المحلاة إلى نحو ١٠٨ آلاف متر مكعب يومياً .

وفى مجال الصرف الصحى فإن الطاقة الحالية نحو ٤٥٠ ألف متر مكعب يومياً سوف تصل إلى ٦٠٠ ألف متر مكعب يومياً .. إضافة إلى إقامة ثلاث محطات كبرى لمعالجة مياه الصرف فى كل من العريش ورفح والشيخ زويد بطاقة إجمالية تبلغ نحو ٣٢٥ ألف متر مكعب يومياً .

الثقافة :

بعد تحرير سيناء مباشرة بدأ العمل فى إنشاء بيوت وقصور الثقافة، أقيمت أولا فى أكشاك سابقة التجهيز، نقلت وركبت وتم ممارسة النشاط فيها جنبا إلى جنب مع نشاط الإدارة المحلية، وخلال ذلك وبعدها أيضا – وحتى الآن – تنطلق القوافل الثقافية إلى الأماكن النائية والمحرومة ثقافيا، وشملت القوافل : السينما والمكتبة والفيديو وعروض فنية لفرق شعبية من الوادى أولا تبعها تشكيل فرق كورال سيناوية تعبر عن الفنون البدوية، ومازالت فرق مدن القناة السويس والإسماعيلية وبورسعيد تقدم عروضها داخل سيناء، فى قرى نائية مثل قرية أبو صويرةوادى فيران بجنوب سيناء بالإضافة إلى ما تقدمه الفرق الأخرى بشمال سيناء، إن حركة الفنون الشعبية خصيصا سمحت بتطوير فرق الفنون الشعبية بشبة الجزيرة وهو ما ظهر واضحا على فرقة العريش للفنون الشعبية التى قدمت عروضها مؤخرا فى روسيا بقاعة مسرح "الفيلهارمونى" بمدينة "مينسك، عبر تعاون ثقافى، وجاء اختيار فرقة العريش للفنون الشعبية لقدرتها على تقديم التراث السيناوى بشكل فنى وأصيل .

ورغم ذلك النجاح فى إنشاء العديد من بيوت وقصور الثقافة والمكتبات العاملة بكل مركز، بالإضافة إلى فرق الفنون الشعبية والمسرحية والموسيقى العربية والاستعراضية وإقامة دور السينما والمسارح بقصور الثقافة، فإنه توجد أبعاد سلبية يمكن إبرازها فى عده نقاط : أن القوافل الثقافية المستمرة من بعد التحرير وحتى الآن، أى ما يقارب خمسة وعشرين عاما، بقدر ما تكشف عن الجانب الإيجابى فى أهميه دور الثقافة

وإصرار القائمين عليها فى تأدية واجبهم، فإنها تكشف عن جانب سلبى أيضا وهو عدم إقامة بيوت أو قصور ثقافة أو مكتبات ثقافية فى العديد من التجمعات، رغم وجود قرارات بتخصيص قطع أراضى لإقامتها فى سيناء، الجانب الآخر هو الاستثمارات المخصصة للخدمات الثقافية بالمشروع القومى من عام (١٩٩٤ إلى ٢٠١٧) بإجمالى ٨٨ مليون جنيه (شمال سيناء) وهو مبلغ سيثير علامات استفهام عندما نقارنه بحجم المبلغ الإجمالى للمشروع (٦٥) مليار بعد رسم السياسة الجديدة فى سبتمبر ٢٠٠٠ !!!

التعليم :

توفير الخدمات التعليمية يتم بشكل متواصل يواكب تطور أعداد السكان فى سيناء .. وفى عام ١٩٩٧ كان عدد المدارس فى سيناء ٤٣٥ مدرسة بها نحو ٢٧٦٧ فصلاً .. ومن المخطط أن تصل إلى ٢٥٣٦ مدرسة بها ٢٥٨٠٠ فصل عام ٢٠١٧ وبما يسمح باستيعاب ٧٥٣ ألف تلميذ، كما أنه من المستهدف إنشاء جامعة متكاملة تخدم المجتمع المحلى وإنشاء كليات أزهرية وتحقيق طفرة فى مجال البحوث العلمية وإنشاء عدد ٤ كليات مجتمع و١٠ كليات جامعية ومعهد عالى بشمال سيناء بالإضافة إلى الكليات الموجودة حاليا مثل كلية التربية .

الخدمات الصحية :

تتمتع سيناء بمستوى جيد من الخدمات الصحية، وذلك للتغلب على المساحات الشاسعة ولتشجيع السكان على البقاء فى مواطنهم .

وقد أقيم فى سيناء العديد من المستشفيات الكبيرة إلى جانب الوحدات الصحية المنتشرة فى أنحائها .. فهناك مستشفيات كبرى أقامتها القوات المسلحة فى كل من العريش وشرم الشيخ بالإضافة إلى مستشفى شرم الشيخ الذى افتتح عام ١٩٩٧ وهو مستشفى استثمارى على أعلى المستويات العالمية .

ويستهدف المشروع القومى لتنمية سيناء زيادة عدد أسرة المستشفيات إلى ٦٠٠٠ سرير لمواكبة الزيادة المتوقعة فى عدد السكان .. وذلك من خلال إنشاء ٥٥ مستشفى تابعة لوزارة الصحة و٢٣ مستشفى تابعة للقطاع الخاص .

كما تقوم القوافل الطبية – ضمن الخدمات المتنقلة – المكونة من أطباء القوات المسلحة أو غيرهم، مع الأدوية اللازمة بسيارات الإسعاف أو الميكروباسات إلى التجمعات البعيدة وخاصة فى وسط سيناء وتستمر القافلة عده أيام بالتجمع ثم تنقل لغيره وكافة الأدوية التى تصرف وأنواع العلاجات المختلفة مجانية .

لكن القوافل الطبية التى تقوم كل عدة شهور، لا تكفى لسد النقص الطبى فى

التجمعات والقرى، يلاحظ مثلا أن المدن الرئيسية يكثر فيها عدد الأطباء بينما تضعف فى بعض التجمعات وتندر التخصصات رغم إقامة وحدات صحية بها، وفى تجمعات أخرى لا توجد أى وحدات صحية وبالتالى تنتفى فيها الخدمات الطبية تماما .

الإعلام :

لعب الإعلام دوره القوى فى سيناء سواء عن طريق الإذاعة أو مراكز النيل للإعلام أو مراكز إعلام نموذجية، أو عبر نشرات وصحف محلية، بدعم من المحافظة والمجلس الأعلى للصحافة، وأغلب ندوات مشروعات تنمية سيناء وندوات الشباب ومؤتمرات حقوق المرأة والندوات الفكرية عن حرب أكتوبر وغيرها عقدت بقاعات مركز النيل للأعلام كما تشارك مكتبات مراكز الإعلام المنتشرة بالمدن بمهرجان القراءة للجميع .

هوامش

١- بحوث التنمية فى سيناء - أكاديمية البحث العلمى١٩٩٣
٢- المراكز البحثية بسيناء / كلية العلوم الزراعية ٢٠٠٠
٣- نشرات محاضرات بحوث التنمية فى سيناء .
٤- دراسات تنموية - نشرات مركز النيل للإعلام - العريش - أعداد مختلفة
٥- محاور التنمية / نشرات مركز المعلومات / الهيئة العامة للاستعلامات / إصدارات غير دورية

ملحوظة : هناك بسيناء ثلاثة أنوا ع من المياه :

المياه الحلوة من الوادى والمياه المحلاة التى يتم تحليتها بعد استخراجها من الآبار الجوفية

وهما موجودان بمدن الساحل وتنقل بمواسير أو بسيارات مياه، أما فى وسط سيناء فيضاف إليهما المياه المالحة التى يتم استخراجها مباشرة من بعض الآبار ولكل نوع استعماله الخاص، فالمياه الحلوة التى تنقل بسيارات فنطاس مخصصة للشرب فقط والمياه المحلاة وبها بعض الملوحة وتستعمل لغسيل الملابس وشرب الحيوانات والدواجن، والمياه المالحة تستعمل فى تنظيف الحمامات وغسيل أدوات المطبخ وخلافه كما تستعمل أيضا لشرب الحيوانات والدواجن فى مناطق معينة مثل وسط سيناء كما يروى بها بعض أنوا ع المزروعات التى تتحمل الملوحة ومشكلة عدم وجود مياه شرب تتكرر وخاصة فى الوسط، وعندما تتعطل محطات المياه يتم الاعتماد على مياه الشرب وهى لا يمكنها أن تسد كل ذلك النقص، وكثيرا ما تتعطل المحطات، ويقع المواطنين فى مشكلات عديدة وخاصة البدو الذين يملكون قطعانا من الغنم، فى التسعينات جفت مياه بئر الحسنة وتم حفر بئر جديد ثم تعطلت محطة المياه مرتين، ثم تعطل البئر بسبب انهياره آخر عام ٢٠٠٦ و تخرج قرية القسيمة بوسط سيناء من هذه المشكلات باعتمادها على عين ماء طبيعي وهى عين الجديرات .

عتبة خروج

سيناء لا تبحث عن هوية، فلها هويتها، ولها أحلامها الخاصة، وهى تتلخص فى مستقبل ينبع من قلبها، وهى بذلك تتفق مع وطنها الأم - مصر - التى كافحت طول تاريخها لرسم مستقبل لا يفرض بمعرفة أى قوى خارجية، و قدر مصر أن تكون سيناء فيها، وقدر سيناء موقعها الجغرافى الذى يؤكد على دورها التاريخى، وإذا كان الاهتمام بها عبر مراحل تاريخية هو اهتمام عسكرى، فإن ذلك تغير بعد التحرير، و يكمن الإطار العام لاستراتيجية التنمية لسيناء، كما رأينا فى الفصل الأخير، فى الارتقاء بمستوى استغلال الموارد المتاحة وتدعيم الهيكل الاقتصادى والاجتماعى والعمرانى والأمنى لسيناء، إلى جانب المساهمة فى حل المشكلة السكانية فى الوادى وتوطين ٣ مليون مواطن وتوفير أكثر من ٨٠٠ ألف فرصة عمل، فضلا عن دعم ومشاركة القطاع الخاص .

ويؤكد تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥ الصادر من وزارة التخطيط عن شمال سيناء أنه استهدف :

(الكشف عما أمكن إنجازه لتحسين جودة حياة الناس فى كل قرية ومدينة وحى داخل المحافظة، ومقارنة حالة القرى ببعضها والمدن والأحياء ببعضها، وليكشف الفجوات والفروق بين ما تحقق فى هذه الوحدات المجتمعية المتشابهة، وليبلور فى النهاية رؤية مستقبلية لإعادة توجيه سياسات وبرامج التنمية المحلية بما يحقق عدالة واستدامة هذه التنمية) .

و رغم الجهد الفائق فى التقرير الذى شمل العديد من الخدمات التى تقدم كالصحة والتعليم والزراعة والعمل وغيرها، فقد خلا تماما مما تم إنجازه فى قطاعات أخرى شديدة الأهمية مثــل القطاع الثقافـى "مديريــة الثقافة وقصورها وبيوتها ومكتباتها " وكذلك الدين .

إن الاهتمام ركز أساسا سواء فى هذا التقرير أو غيرة على خدمات مادية تقدم وهو ما عكس رؤية الجهاز التنفيذى (الحكومة) وأنظمتها لما ينبغى تقديمه لسيناء، وهو يتلخص فى الجانب المادى وحده، وإذا كانت حروب تحرير التراب الوطنى تمت وفق رؤية مادية وهى الأسلحة والتموين وغيرها، فقد تمت أيضا وفق أسس روحية وثقافية اعتمدت على تاريخ هذا الشعب وتراثه الثقافى والروحى، وعملية بناء سيناء ينبغى أن تتم على هذه الأسس، حتى لا يكون الكل خواء فى خواء، ليست عملية تعمير سيناء هى مجرد إقامة مبانى وشق الطرق لتحسين جودة حياة الناس فى كل قرية ومدينة وحى داخل المحافظة، أو تجميع ناس من هنا وهناك لتوطينهم، كاستراتيجية حماية أمنيه لسيناء من أى تفكير فى احتلالها مستقبلا .، وأظن عملية التعمير تتجاوز ذلك .. هى بمفهومها الأعم والشامل يتلخص فى " الإنسان " والإنسان لا يتكون من طعام، بل من قيم روحية وفكرية، تلك القيم هى التى تعطيه معنى لوجوده عبر الزمان .

وغالبية الحكومات المتعاقبة على مر التاريخ، لم تهمل تماما المكان بل أهملت الإنسان، وابتداء من قدماء المصريين كانت سيناء (معدن) تأخذ منه ما تشاء لعمليات التعدين .. وكمعدن فهو لا روح له ولا فكر .. وأثناءها وبعدها أقيمت نقط حماية وقلاع وحصون وليس عمليات تعمير أومؤسسات تخدم الناس وترعاهم .

وفى عصر محمد على لم تتم معاملة أهالى سيناء بصورة طيبة، لقد تم استخدام أسلوب الشدة والقوة العسكرية ضد أى تمرد أو عصيان لأوامره . كما أن عمليات الإصلاح أو التجديد فى منشآت ومبانى شبه جزيرة سيناء طوال تلك الفترة لم تكن إلا لأغراض استراتيجية وعسكرية بحتة .

وإذا كان العطش والجفاف دفع البعض منهم للقيام بغارات فى فترات التاريخ المختلفة، فعذرهم واضح لقد أهمل الحكام المتعاقبون تعمير المنطقة واكتفوا أيضا بالقلاع والحصون .

كما أن عوامل الجفاف فى تلك العصور والتى دفعت بعض البدو للقيام بغارات، هى نفس العوامل التى تدفع البدو اليوم فى القرن الحادى والعشرين إلى الهجرة من مناطق الجفاف بوسط سيناء إلى المدن الساحلية حيث العيون والآبار .

وفى عصور ما بعد محمد على يتكرر الأمر أغفلت سيناء وسكانها وتركوا دون تنمية أو اهتمام .

وبعد التحرير بدأ الاهتمام بسيناء كإقليم تنموى، ورغم الطفرة الهائلة التى حدثت،فإن العملية شابها قصور، قد يؤدى إلى خطر، فالاستثمارات أغلبها وجه إلى السياحة وللمدن الساحلية، كما أن قطاعات مهمة لم تحصل على نصيب يقدر أهميتها مثل التدريب المهنى والشباب والرياضة ثم القطاع الثقافى .

والتدريب المهنى يدخل فيه قطاع الأسر المنتجة أى تحسين الدخل وكذلك تطوير إمكانيات الشباب للحصول على فرص عمل أفضل والارتقاء لمستوى مواجهه المتغيرات الحديثة .

والشباب والرياضة معروف، فعبر أنشطته الرياضية يتم توجيه الطاقات السلبية إلى طاقات ايجابية من خلال رياضية تجمع بين الشباب، مع الرحلات الثقافية والسياحية للمعالم الأثرية التاريخية، وكذلك مسابقات فنيه وأدبية وغيرها ومشاركة مكتباته بمرجان القراءة للجميع .

أما قطاع الثقافة فهو الحصن الأول ضد التطرف الذى يؤدى إلى عالم الإرهاب والجريمة وهو أيضا الحصن الأول أمام أى محاولة لتشويه الوطن ومحو تاريخه وتزييف هويته وأنا هنا أتجاوز الثقافة بمفهومها الدارج مثل الأدب والنقد، إلى الثقافة بمعناها الأوسع مثل الفنون الشعبية والسينما والمسرح والفن التشكيلى، إن فنون التعبير تلك تعبر عن ثقافة الأمة، وتنكشف فيها أهم الملامح الخاصة التى تميزها عن أمم أخرى .

وقد وقع العبء الحقيقى على سكان وسط سيناء لبعدهم عن مناطق التعمير والسياحة كما أن الخدمات التى تقدم لهم ضعيفة، فالمستوى التعليمى فيها متأخر، والخدمات الصحة ناقصة فى كثير من التجمعات، وفرص العمل نادرة والخدمات الثقافية معدومة والشعائر الدينية لا يقوم بها فى الغالب إمام مقيم، ومن يحضر يلقى خطبة الجمعة ثم يختفى أما مشكلة المياة فهى مزمنة وتدفع سكان الوسط إلى التوجه نحو المناطق الساحلية التى تكثر فيها الآبار وتمر بها خطوط المياه .

ومجتمع سيناء قبلى وقد أوضحنا فى الفصل الخاص بالتراث الثقافى عدد القبائل وتوزيعها قدر جهدنا، وطبيعة أهل القبائل لاتسمح بأن تكون هناك قبيلة أفضل من قبيلة بشكل كبير، الفروق الطفيفة مقبولة وغير ذلك قد يحدث صراعا، أو يغرق المكان فى زراعة المخدرات، وهو ما يؤثر على الأمن والمنطقة كلها .. وليس ببعيد تفجيرات سيناء والتحصن فى جبل الحلال بوسط سيناء، والذى يعتقد أنه يكمن فيه الهاربون من أحكام قضائية

والاعتقالات، وتجار السلاح والمخدرات .

ويحتاج الوسط فعلا إلى محافظة مستقلة عن الشمال والجنوب، باستثمارات متقاربة للمحافظتين، مع تحريك حدود بعض المراكز، وكذلك حدود مراكز الوسط " الحسنة ونخل " بحيث يطلان على شواطىء خليج السويس ويكفى أن مساحة المركزين حوالى ٢١ ألف كيلو متر مربع من مساحة ٢٧ ألف هى مساحة محافظة شمال سيناء الكلية .

أما مسألة توطين (٣ مليون مواطن) فهى حلم حقيقى ننتظر أن يتحقق، رغم أنه يناقضه القول بأن المشروع القومى سيوفر أكثر من ٨٠٠ ألف فرصة عمل، وهناك فرق بين (٨٠٠) ألف و(٣ ملايين) إلا إذا كان المقصود توطين (٣) ملاين أسرة وفى هذه الحالة يكون المؤشر مقبولا، لكن المشكلة التى ستظهر، أن سكان سيناء أيضا لديهم أبناؤهم، وهؤلاء بحاجة إلى فرص عمل قبل غيرهم، وإلا تركوا بلدهم ونزحوا للمحافظات المجاورة بحثا عن فرص عمل، وتكون العملية فى هذه الحالة عبثية ولا تخرج عن كونها إحلال سكان محل سكان، وقد بدأت تظهر مؤشرات بطالة مؤثرة فى حياة السكان بالسلب، من ناحية أخرى فإن عملية توطين (٣) ملايين سوف يتبعها توفير مساكن ومياه أيضا لسد حاجة الـ(٣) ملايين) ولا يبدو أن مشروعات المياه سوف تكفى إلا بوجود نهر نيل فعلى وليس ترعة قائمة على مياه صرف زراعى بعد خلطها بماء النيل لاستخدامها فى النواحى الزراعية والمزارع السمكية، وحاليا ونحن فى عام ٢٠٠٧ أى بعد مضى حوالى ١٣ عاما على بداية المشروع القومى (١٩٩٤) وبعدد سكان حاليا ٣٤٠ ألف تقريبا مازالت مناطق عديدة تعانى من مشكلة المياه . فماذا يكون الوضع عندما يضاف إليهم ٣ مليون ؟؟

أما المشكلة الأخرى الخاصة بالمياه فهى إسرائيل الطامعة فى موارد جيرانها المائية، ومفهومها للأمن يرتبط بالحصول على حصة من ماء النيل ويطرح كتاب (السد العالى هرم الإرادة المصرية) فكر خبير المياه الإسرائيلى (اليشع كلى) الذى يتلخص فى أن حل مشكلة المياه فى إسرائيل يمكن حلها بواحد فى المائة من مياه نهر النيل، وإن ذلك الحل يحل مشكلة شمال سيناء وقطاع غزة، ومشروع (شاؤل أرلوزوروف) النائب السابق لمدير هيئة المياه الإسرائيلية يطرح أيضا نفس الأفكار، وطبعا كل الأفكار تمر على أرض سيناء .

ويبدو أن شبه الجزيرة سيكون لها كلمة أخرى فى التاريخ .

شكر وتقدير

اعترافاً بالفضل للشخصيات والهيئات التى قدمت تعاونها فى سبيل إنجاز هذا الكتاب، وما قدموه من معلومات :

- اللواء أحمد عبد الحميد محافظ شمال سيناء
- اللواء أحمد صلاح توفيق سكرتير عام محافظة شمال سيناء
- الهيئة العامة لقصور الثقافة والعاملين بمكتباتها بالعريش
- الهيئة العامة للاستعلامات – هيئة آثار شمال سيناء
- مركز معلومات ديوان عام محافظة شمال سيناء
- هيئة تنشيط السياحة بشمال سيناء
- مدين أيضا بالشكر لمجموعة من الفنانين ساهموا بصورهم فى

*** هذا الكتاب وهم:**

- نافع الشوربجى عضو الاتحاد الأفريقى للمصورين المحترفين
- محمد الشعراوى – محمد الحارون – غادة الحارون – بهاء الدين
- حسين– جلال سليمان – محمد عياد عودة

سعيد رمضان على

الكاتب فى سطور

*** سعيد رمضان على**

* مواليد إسكندرية باكوس ١٩٥٤

يعمل بشمال سيناء من عام ١٩٨٢

*** من أعماله :**

- روح هائمة - رواية
- الأسوار- رواية
- ألأرض والنهر - مجموعة قصصية
- السينما المصرية والإعاقة - بحث ٢٠٠٥- الشارقة الأمارات
- إعلام جديد فى عالم متغير- ورقة عمل ملتقى المنال ٢٠٠٦ - الشارقة - الإمارات
- مقالات ودراسات نقدية نشرت متفرقة

*** تحت الطبع :**

- الانهيارات - مسرحية تاريخية
- قراءات فى القصة العربية (نقد)

للنشر فى السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة

هوية المكان

1- القدس العتيقة مدينة التاريخ والمقدسات .... عرفة عبده على

2- يوم الجمعة ، يوم الأحد .... خالد زيادة

3- المدينة الاستثناء .... قاسم مسعد عليوة

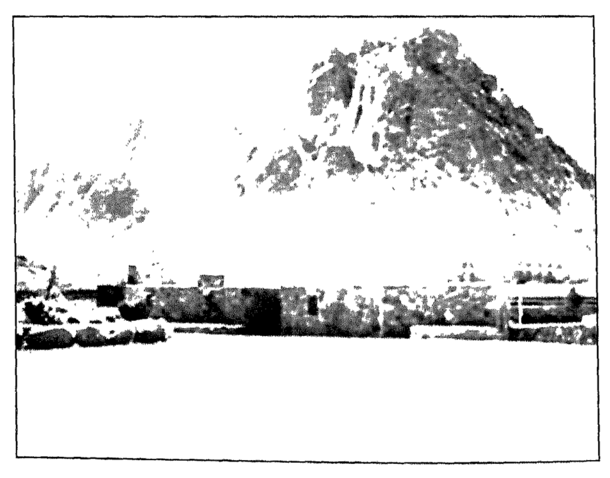
4- طريق الصحراء .... على مصباح

ملحق الصور

م ١١ - سيناء الأهمية والمعنى (الهيئة العامة لقصور الثقافة)



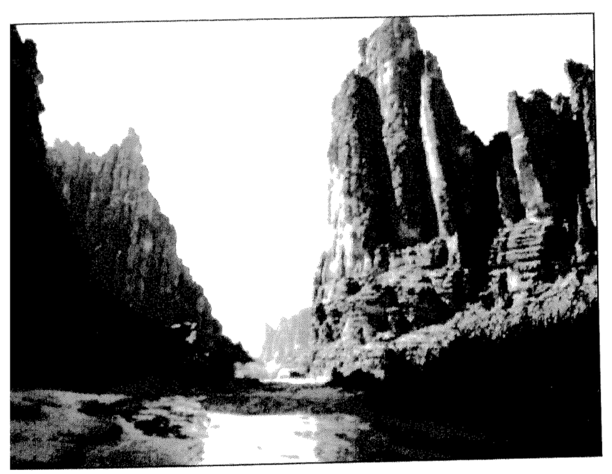
رأس محمد



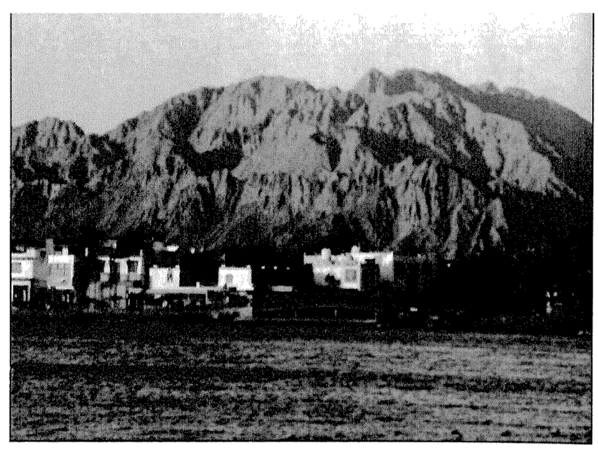
محمية سانت كاترين



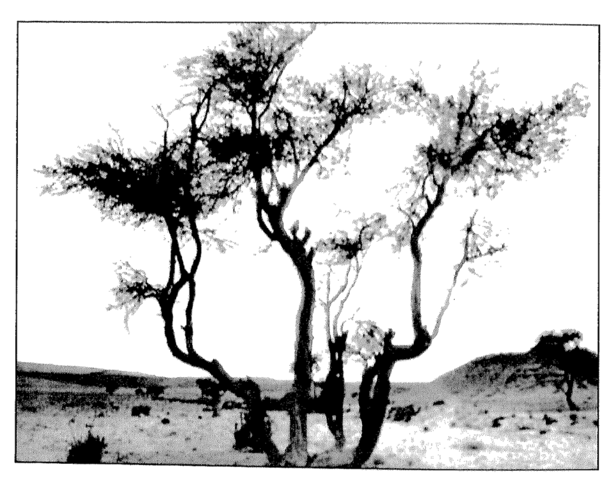
شمال سيناء



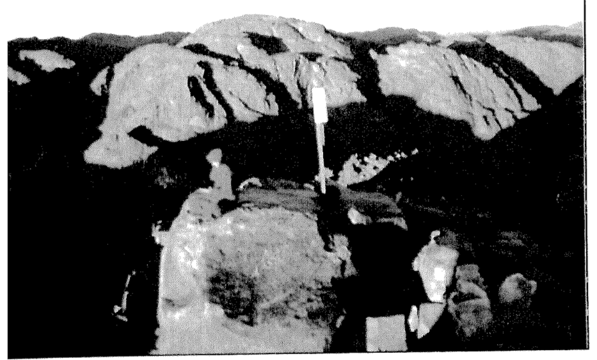
منظر من طابا



منظر من دهب



منظر من رأس محمد



السياحة على قمة جبل موسى

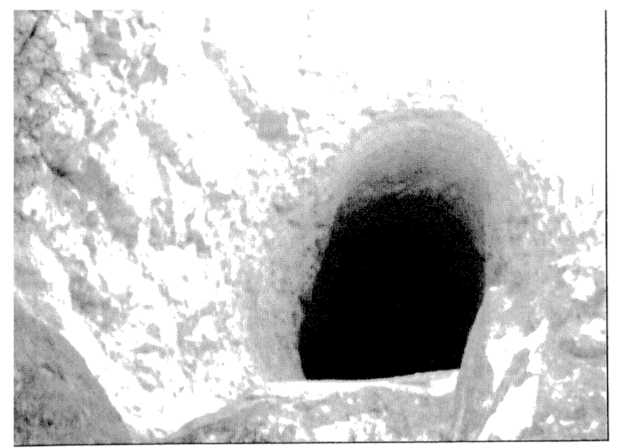
قلعة نخل



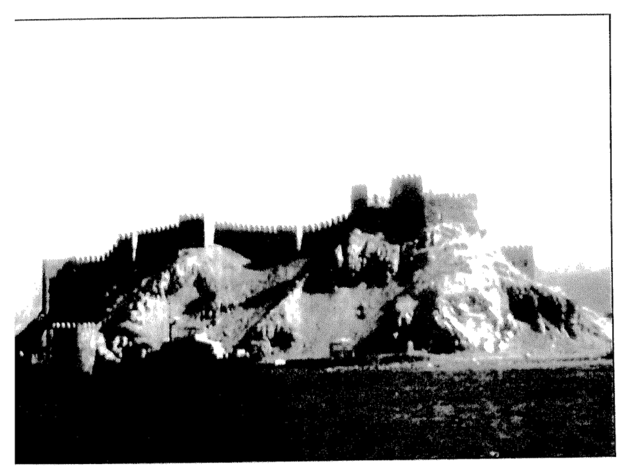
القسيمة



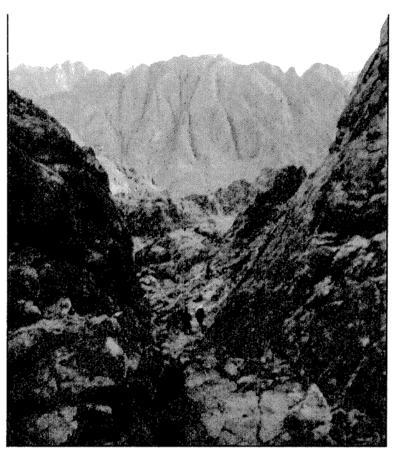
بانوراما رفح



العريقة



قلعة صلاح الدين بسيناء



الواد المقدس

كاتدرائية سانت كاترين



دير سانت كاترين

جبل طور سيناء



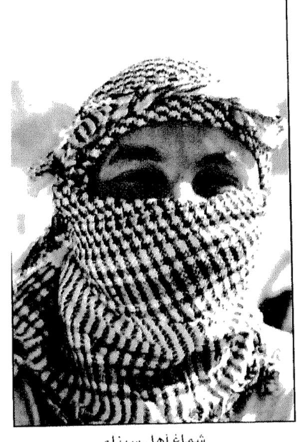
بدوية وطفلها من سيناء



صنع الفطائر السيناوية - شمال سيناء

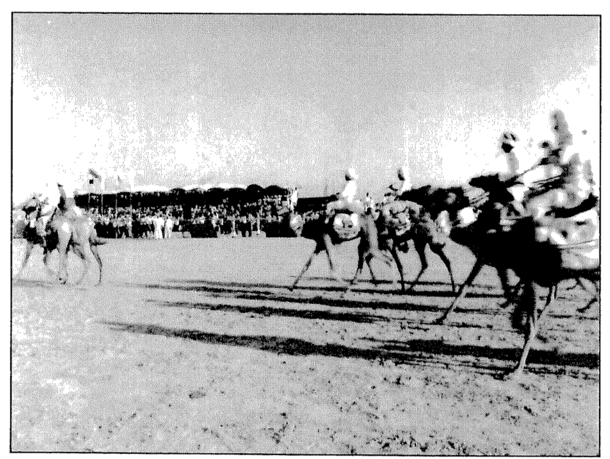


اثنين من بدو سيناء   القرن التاسع عشر

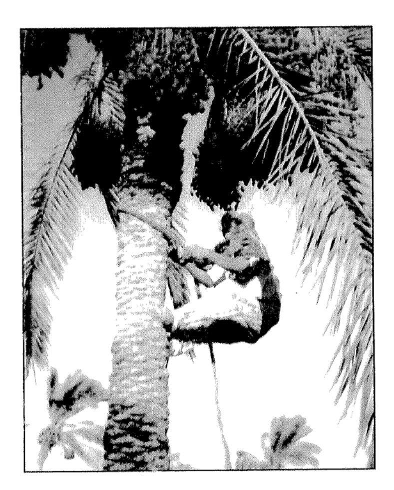


شماغ أهل سيناء

الإنسان البدوى ولحظة اندماج وتأمل



سباق الهجن الدولى

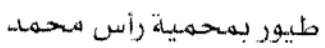


ثروة النخيل - بسيناء



صقر بمحمية رأس محمد

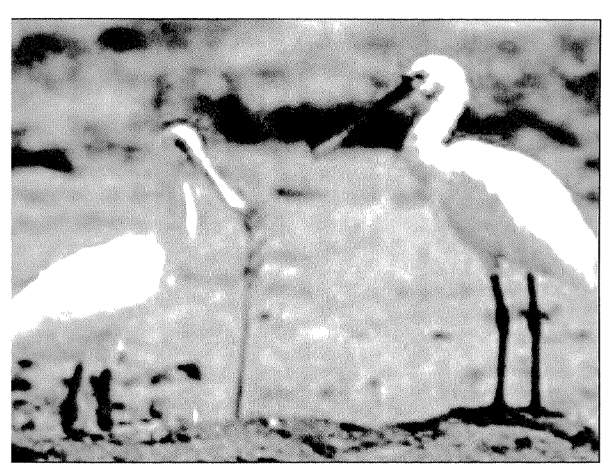




طيور بمحمية رأس محمد



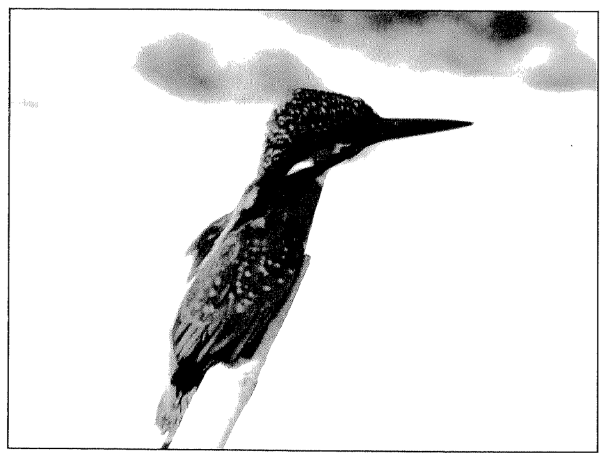
طائر الحسون من محيميات سيناء



طائران بمحمية الزرانيق



ثعلب من محمية رأس محمد



طائر صائد السمك الأوربى من أجمل الطيور التى تأتى للزرانيق



رفع العلم المصرى على سيناء بعد العبور



ليست سيناء مساحة شاسعة من الرمال أو الجبال، وليست بضع مدائن هنا، أو قبائل هناك، بل إنها - في الحقيقة - تاريخ مسكون بسنابك خيول الغزاة والفاتحين والمغامرين الباحثين عن الظلال، والرعاة الذين غنّوا للمطر والعيون المسهّدة، وكذلك تحتضن سيناء أنفاس وأرواح الأنبياء الذين آنسوا نورًا بين جنباتها، ووسموا بخطوهم الصخور الندية.

إنها روح الطهارة العفية ورفيف العمر السنيّ، مشرق الوجود، وخلود العشق المضمّخ بالدماء الزكية.

إنها سيناء.. مصر.

5 هوية المكان

سيناء..
الأهمية والمعنى

سعيد رمضان على

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
www.gocp.gov.eg
www.althaqafahalgadida.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com.eg
www.qatrelnada.com.eg

الثمن: خمسة جنيهات